الفصل الأول

الظواهر الصوتية

ويحتوى على سبعة مباحث:

المبحث الأول: الهمز.

المبحث الثانى: الإدغام.

المبحث الثالث: التغاير.

المبحث الرابع: الإمالة.

المبحث الخامس: تَغَيُّر الصائت بالاختلاس والإشباع.

المبحث السادس: ياءات الإضافة.

المبحث السابع: التثقيل والتخفيف.

المبحث الأول
الهمز

الهمز سمة من سمات القبائل البدوية، كتميم وقيس وبنى أسد ومن جاورها، أى قبائل وسط الجزيرة العربية وشرقيها.

أما قبائل التخفيف، فهى القبائل الحضرية ومنهم أهل الحجاز وبخاصة قريش فى مكة، والأوس والخزرج فى المدينة.

ولما (كانت القبائل البدوية تميل إلى السرعة فى النطق وتلمس أيسر السبل إلى هذه السرعة، فإن تحقيق الهمزة كان فى لسانها الخاصة التى تخفف من عيب هذه السرعة.

أما القبائل الحضرية - فعلى العكس من ذلك - كانت متأنية فى نطقها، متئدة فى أدائها، فأهملت همز كلماتها... واستعاضت عن ذلك بوسائل عبر عنها النحاة بعبارات مختلفة، كالتسهيل، والتخفيف)[1].

وتخفيف الهمزة يجمعه كما قال ابن الحاجب (ت ٦٤٦هـ) الإبدال والحذف وبين بين[2].

أولاً: التحقيق:

أ - الهمزة المفردة:

١ - قال تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [البقرة]

قرأ عاصم الجَحدَرى «هُزُؤًا» بالهمزة وضمتين.

---

(١) القراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث ٣٠-٣١.

(٢) ينظر: شرح الشافية ٣/ ٣٠.

جاء فى أساس البلاغة: (هُزِئَ به ومنه، وهَزَأَ وتهزأ، واستهزأ، واتخذه هُزُوًا)[1].

وفى القاموس المحيط: (هَزَأَ منه وبه كـ «مَنَعَ، وسَمِعَ» هُزْأً وهُزُوًا)[2].

فمن ضم الزاى وهمز فحجته أنه راعى اتباع الخط؛ لأن «هُزُوًا» فى المصحف مكتوبة بالواو، ومن قرأها بالتسكين فإنما أراد التخفيف[3].

أما من قرأ بالضم وتحقيق الهمز فهى جائزة ومستحسنة كقراءة من قرأ بالإسكان وقلب الهمزة واواً، لأنه تخفيف قياسى[4].

٢- قال تعالى:

﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [البقرة]

قرأ الجحدرى: «ميكَائيل» بهمزة مكسورة بعد الألف وياء ساكنة، وجبرائيل وميكائيل اسمان أعجميان عُرِّبا، وقد ذكرهما الجواليقى فى مُعرَّبه، وحكى عن ابن عباس أنّه قال: «جبرائيل» و«ميكائيل»: جَبر: عَبد، كقولك: عبد الله وعبدالرحمن، ذهب إلى أنّ «إيل» اسم الله تعالى واسم المَلَك «جَبْر» و«ميكا» فَنُسبا إلى الله تعالى ولم يختلف المفسرون فى هذا.

وروى عن الكسائى أنه قال: (جبريل وميكائيل أسماء لم تكن العرب تعرفها فلما جاءت عربتها)[5].

وذكر الأخفش أن العرب يقولون «ميكائيل» فيهمزون ولا يهمزون[6]. وميكال بوزن قنطار، وميكائيل بوزن ميكاعيل.

---

(١) أساس البلاغة ٧٠٠.

(٢) القاموس المحيط ١/ ٣٤.

(٣) ينظر: الحجة لابن خالويه ٥٨.

(٤) ينظر: مجمع البيان ١/ ١٣١.

(٥) المعرب ٣٢٧.

(٦) معانى القرآن للأخفش ١/ ١٤٠.

وذكر ابن جنى أن (العرب إذا نطقت بالأعجمى خلطت فيه)[1].

وقد نسب تحقيق الهمز إلى تميم والتسهيل إلى أهل الحجاز فـ (التميميون يقولون «جبرائيل ومكائيل» وأهل الحجاز يقولون: جبريل وميكال)[2] وهما ممنوعان من الصرف للتعريف والعجمة[3].

٣- قال تعالى:

﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾﴾ [البقرة].

قرأ الجحدرى «نَنْسَأهَا» بفتح النون والسين وإثبات الهمزة.

و(نسأ الأمر: أخره، ونسأته فانتسأ أى: تأخر)[4].

فمن قرأ «نُنْسِهَا» من غير همز (فمن النسيان الذى هو بمعنى السهو أو بمعنى الترك)[5].

ومن قرأ «ننسأها» فهى من النسأ وهو التأخير، ومنه أنسأ الله أجلك ونسأ فى أجلك، أى أخره[6].

والنسيئة تأخير الشىء ودفعه عن وقته، ومنه النسىء وهو شهر كانت العرب تؤخره فى الجاهلية، من الأشهر الحرم[7].

قال الشاعر[8]: [من الوافر]

---

(١) الخصائص ١/ ٣٥٩.

(٢) البحر المحيط ١/ ٣١٨، لهجة تميم ١٦٠.

(٣) ينظر الكشاف ١/ ١٦٩.

(٤) أساس البلاغة ٦٢٩.

(٥) مجمع البيان ١/ ١٧٩.

(٦) ينظر المجتبى فى تخريج قراءة أبى عمر الدورى ٢٢، مجمع البيان ١/ ١٧٩.

(٧) العين ٧/ ٣٠٦.

(٨) عمير بن قيس بن جذل الطعان، كان يفخر بالنسىء للشهور الحُرُم فى الجاهلية. ينظر: المؤتلف والمختلف ٢٤٣، والعين ٧/ ٣٠٦.

ألسنا الناسئين على معدٍّ شُهورَ الحلِّ نجعلُها حَراما

ب- الهمزتان المجتمعتان فى كلمة:

١- قال تعالى:

﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [الواقعة].

قرأ الجحدرى: «أإنَّا» بهمزتين على الاستفهام، الأولى مفتوحة والثانية مكسورة.

وقراءة الجمهور: «إنا» بحذف الهمزة الأولى.

تحدثنا فيما سبق عن الهمز على أنه ظاهرة صوتية، حيث تناولنا الهمزة المفردة بعد أن مثلنا لها بشواهد من قراءة الجحدرى، وقد تأتى الهمزة مجتمعة مع همزة أخرى فى ذات الكلمة، وهو ما سنبحثه فى هذا الموضوع. وقد قرأ الجحدرى (بهمزتين) فى موضع واحد فقط، وهو الآية (٦٦) من سورة الواقعة.

ولما كانت الهمزة صوتا حلقيا بعيد المخرج، صعب التلفظ بها، يتهوع الناطق بها تهوعًا حتى يخرجها - مع ما فيها من الجهر والقوة - بخلاف سائر الأصوات، فقد تعاملت العرب مع الهمزة المفردة تعاملا يختلف عن تعاملها مع الحروف الأخرى. فقد استعملوا فيها: التحقيق، والتخفيف، وإلقاء حركتها على ما قبلها، وإبدالها بغيرها من الحروف، وحذفها فى مواضعها، وإنما فعلوا ذلك كله لاستثقالهم لها[1].

ولتوجيه قراءة الجحدرى هذه لابد من القول بأنه:

إذا اجتمعت الهمزتان فى كلمة، فالتقدير فى الأولى، أنها منفصلة فى النية؛ لأن لك حذفها فى كلام العرب، وذلك كل همزة استفهام دخلت على ما بعدها من همزةٍ أخرى نحو: ﴿أَأَنذَرْتَهُمْ ... ﴿٦﴾﴾ [البقرة]، و﴿أَأَقْرَرْتُمْ ... ﴿٨١﴾﴾ [آل عمران] وشبهه.

---

(١) ينظر: الكشف ١/ ٧٢.

فالهمزة الأولى دخلت على «أنذر» و«أقـرَّ» قبل أن لم تكن فهى بمنزلة همزة من كلمة أخرى، إذ الانفصال والزيادة فيهـما مُقدران منويان فصارت بمنزلة ما هو من كلمتين.

والذى حسّن التحـقيق عنده لأنه الأصل، وزاده قوةً أنّ أكثـر هذا النوع بعد الهمزة الثانية فيه ساكن، فلو خفَّف الثانية التى قبل الساكن لقَرُب ذلك من اجتماع ساكنين لا سيما على مذهب من يُبدِل من الثانية ألفًا، فلما خاف اجتماع الساكنين حقَّق ليـسلم من ذلك، ولأنه أتى بالكلمـة على أصلها محـققـةً، ولأنه لو خفّفَ الثانية لكانت بزنتها مُـحقَّقة فالاستثقال فى القيـاس مع التخفيف باقٍ، وهى قراءة أهل الكوفة وابن عامر (ت١١٨هـ)[1].

وقد ذكر ابن جنـى أن الهمزتين لا تلتقـيان فى كلمة واحدة. متـابعًا بذلك سيبويه الذى يقـول: (ليس من كلام العرب أن تلتقى همزتان فتـحققا)[2] ولذلك شذذ قراءة الكسائـى (أئمَّة) حيث ذكر ذلك تحت باب عقده فى الخـصائص سمَّاه: «باب فى شواذ الهمـز» قال فيه إنَّ (من شَاذِّ الهمـز عندنا قراءة الكسائى ﴿أَئِمَّةَ ... ﴿١٢﴾﴾ [التوبة]. بالتحقـيق فيهما فالهمزتان لا تلتقـيان فى كلمة واحدة)[3]. و(إذا التقت فلا بُدَّ من إبدال الثانية على كل حال)[4] هذا إذا كانت الهمزتان فى كلمة.

أما إذا التقت الهمزتان فى كلمتين فقد مَنَع سيبويه تحقيق الهمزتين إذا التقتا، ونص على أنّ العرب تميل إلى تخـفيف الأولى نحو: ﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا ... ﴿١٨﴾﴾ [محمد]. ومنهم من يُخفف الثانية.

جاء فى الكتاب: (فليس من كـلام العرب أن تلتقى همزتان فتحـققا، ومن كلام العـرب تخفيف الأولى وتحـقيق الآخـرة وهو قول أبى عمـرو وذلك قولك: ﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا ... ﴿١٨﴾﴾ [محمد]، و﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ ... ﴿٧﴾﴾ [مريم].

---

(١) ينظر: الكشف ١/ ٧١ وما بعدها.

(٢) الكتاب ٢/ ١٦٧.

(٣) الخصائص ٣/ ١٤٣.

(٤) المنصف ٢/ ٥٢.

ومنهم من يحقق الأولى ويخفف الآخرة، سمعنا ذلك من العرب، وهو قولك: ﴿فَقَدْ جاء أَشْراطُهَا ... (١٨)﴾ [محمد]، و﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ ... (٧)﴾ [مريم] وقال[١]: [من الرمل]

كل غـــراء إذا مـــا بـرزت ترهب العين عليـهـا والحـسـد

سمعنا من يوثق به من العرب ينشده هكذا)[٢].

كما استشهد النحاة على تخفيف الهمزة الثانية ببيت الأعشى[٣]: [من البسيط]

أان رأت رجـلا أعـشـى أضـر به ريب المنون ودهر مـفـسـد خـبـل

فالشاهد فى البيت الأول، تخفيف الهمزة الثانية فى قوله (غراء إذا) وجعلها بين بين لأنها مكسورة بعد فتحة فتجعل بين الهمزة والياء.

وكذلك الحال فى بيت الأعشى، فقد استشهد به على تخفيف الهمزة الثانية من قوله (أأن) وجعلها بين بين، واستدلوا على أن همزة بين بين فى حكم المتحركة، ولولا ذلك لانكسر البيت لأن بعد الهمزة نون ساكنة، فلو كانت الهمزة المخففة فى الحكم ساكنة لالتقى ساكنان وذلك لا يجوز إلا فى الشعر[٤].

---

(١) لم يعرف قائله، ينظر: الكتاب ٢/ ١٦٧، وتحصيل عين الذهب ٢/ ١٦٧، والنكت فى تفسير كتاب سيبويه ٢/ ٩٨٢.

(٢) كتاب سيبويه ٢/ ١٦٧. ط. بولاق.

(٣) الأعشى الأكبر ميمون بن قيس بن جندل الملقب بصنَّاجة العرب، وفد على النبى ﷺ ومدحه، والبيت فى معلقته. ينظر: شرح القصائد المشهورات ٢/ ١٣٦، ومعجم الشعراء ٤٠١ وكتاب سيبويه ٢/ ١٦٧.

(٤) ينظر: كتاب سيبويه ٢/ ١٦٧، وتحصيل عين الذهب ٢/ ١٦٧، وشواهد الشعر فى كتاب سيبويه ٢٥٧، ٤٠٢.

همزة بين بين:

قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ... ﴿٦﴾﴾ [البقرة].

قرأ الجحدرى وحده «سواء» بتخفيف الهمزة على لغة الحجازيين فيجوز أنه أخلص الواو، ويجوز أنه جعل الهمزة «بين بين» وهو أن يكون بين الهمزة والواو[١].

والهمزة بين فتحة وضمة مثل «سواء» تخفف «بين بين» قياسًا، وهى لغة أهل الحجاز، والنطق بهمزة (بين بين) ظاهرة فاشية فى كل البيئة الفصيحة البدوية والحضرية[٢].

ومن أجل الوصول إلى حقيقة النطق بهذه الهمزة، لابد من الوقوف على نصوص القدماء، فهذا سيبويه صاحب أقدم نص فى وصفها -على ما نعلم- يقول فيها: (وتكون بزنتها محققة غير أنك تضعف الصوت ولا تتمه وتخفى، لأنك تقربها من الألف - فى حالة بين الهمزة والألف ... فكل همزة تقرب من الحرف الذى حركتها منه فإنما جعلت هذه الحروف بين بين ولم تجعل ألفات ولا ياءات ولا واوات؛ لأن أصلها الهمز فكرهوا أن يخففوا على غير ذلك)[٣].

وأضاف سيبويه يعلل وهن الهمزة وضعفها، ويعزو ذلك إلى عدم إتمام الصوت أثناء النطق بها إضافة إلى تقريبها من الساكن، فتضعف فيدخلها الوهن. فنص على ذلك يقول: (إنك لا تتم الصوت هاهنا ولا تضعفه، لأنك تقربها من الساكن ولولا ذلك لم يدخل الحرف وهن)[٤].

---

(١) ينظر: البحر المحيط ١/ ٤٥، والقراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث ١٧٧.

(٢) ينظر: القراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث ١٧٩-١٨٠.

(٣) الكتاب ٣/ ٥٤١-٥٤٢.

(٤) الكتاب ٣/ ٥٤١-٥٤٢.

وقد تابع ابن جنى سيبويه، وذكر أن هذه الهمزة وإن قربت من الساكن لكنها فى الحقيقة متحركة، وعلل ذلك قائلا: (ويدلك على أنها وإن كانت قد قربت من الساكن فإنها فى الحقيقة متحركة، أنك تعتدها فى وزن العروض حرفا متحركًا وذلك نحو قول كثير[1]: [من الطويل]

أَأَنْ زُمَّ أَجْمالٌ وفارقَ جِيرةٌ وصاحَ غُرابُ البينِ أنتَ حزينُ؟

ألا ترى أن وزن قولك «أَأَنْ زُمَّ» = فَعُولُنْ.

فالهمزة إذن مقابلة لعين «فَعُولن» وهى متحركة كما ترى)[2].

فأول صفات هذه الهمزة أنها بزنتها محققة كما مثلنا بوزن الشعر.

ومن خلال الكتابة الصوتية الآتية نتبين أن الهمزة متحققة غير ساقطة كما زعم بذلك الدكتور عبد الصبور شاهين الذى ذهب إلى أن: («بين بين»، يعنى فى الواقع سقوط الهمزة أساسًا واتصال الحركتين قبلها وبعدها مباشرة)[3] متابعًا بذلك أستاذه الدكتور إبراهيم أنيس.

ولنا فى الكتابة الصوتية الآتية رد آخر رده الأستاذ الدكتور النعيمى على رأى الدكتور إبراهيم أنيس الذى ذهب فيه إلى أن (بين بين) قد تكون مصوتا. فالهمزة غير مصوت لأن المصوت لا يكون قاعدة لمقطع[4] وإنما المصوتات قمم.

/ ءـَ اء - ن/ = أان.

---

(١) كثير بن عبد الرحمن الخزاعي، شاعر بنى مروان، وصاحب عزة (ت١٠٥هـ) ينظر المؤتلف والمختلف فى أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم ١٦٩، ٣٥٠، ومعجم ألقاب الشعراء ١٩٦، للدكتور سامى مكى العانى.

(٢) سر صناعة الإعراب ١/٤٨، ٤٩، تح د. حسن هنداوى، وينظر: الكلام على بيت الأعشى السابق.

(٣) القراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث ١٠٥.

(٤) ينظر: محاضرات الدكتور حسام النعيمى التى ألقاها على طلبة الدراسات العليا، بكلية الآداب، جامعة بغداد، لعام ١٩٩٧-١٩٩٨م.

المبحث الثانى
الإدغام

الإدغام ينطق بسكون الدال عند الكوفيين، وبتشديدها عند البصريين، وذكر الخليل أنّ (التشديد علامة الإدغام)[1] فيكون على الأول بوزن «إفعال» وعلى الثانى بوزن «افتعال»[2].

(والإدغام هو إدخال حرف فى حرف)[3] أو (تقريب صوت من صوت)[4] (فى الحرفين اللذين تضع لسانك لهما موضعًا واحدًا لا يزول عنه)[5].

والإدغام: أن تأتى بحرفين ساكن فمتحرك من مخرج واحد من غير فصل، ولا يكون ذلك إلا فى المثلين أو المتقاربين[6].

وهو ظاهرة من ظواهر المماثلة يفنى فيها الصوتان المتجاوران فناءً تامًا، ولذلك سماها المحدثون: Completic Assimilation.

أى: المماثلة الكاملة[7].

وقد ذكر ابن جنى أنّ اللسان قد نبا حرفين نبوةً واحدة ولكنهما بسبب النبوة الواحدة صارا كالحرف الواحد، وقد ذهب مذهب ابن جنى، الأستاذ الدكتور حسام النعيمى[8].

وعلل ابن يعيش الميل للإدغام، بأنه سعى للتخفيف (فلما كان تكرير الحرف كذلك فى الثقل حاولوا تخفيفه بأن يدغموا أحدهما فى الآخر، فيضعوا ألسنتهم

---

(١) العين ٤٩.

(٢) ينظر: شرح المفصل ١٠/ ١٢١، حاشية الصبّان ٤/ ٣٤٥، ودراسات صرفية ١٤٦.

(٣) التحديد ١٠٢، جمال القرّاء ٢/ ٤٨٥.

(٤) الخصائص ٢/ ١٣٩، وينظر: الصرف الوافى ٢٨٢.

(٥) الكتاب ٢/ ٤٠٧.

(٦) ينظر: الشافية ٣/ ٢٣٣-٢٣٤، والممتع ٢/ ٦٣١.

(٧) ينظر: فى البحث الصوتى عند العرب ٨١.

(٨) ينظر: الخصائص ٢/ ٤٩٦، والدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جنى ٣٤٢.

على مخرج الحرف المكرر وضعةً واحدة ويرفعوها بالحرفين رفعة واحدة لئلا ينطقوا بالحرف ثم يعودوا إليه)[1]؛ لأنه عندما يدغم الحرفان يرتفع اللسان بهما ارتفاعةً واحدة، بينما هو فى حالة الإظهار يرتفع ارتفاعتين[2]. فالإدغام إذن: ظاهرة لغوية راقية تهدف إلى الوصول بالكلمة إلى أقصى درجات الخفة والسهولة[3].

وبناء على البعد والقرب بين الحروف فى المخارج والصفات، قسَّم العلماء الإدغام إلى ثلاثة أقسام:

١- إدغام المتماثلين. ٢- إدغام المتقاربين. ٣- إدغام المتجانسين.

والحرفان المدغمان إمّا أنْ يَتَّفقا مخرجًا وصفةً، وهو ما سُمى بالمتماثلين أو أن يتفقا مخرجًا، ويختلفا صفةً، وهو إدغام المتجانسين، أو أن يتقاربا مخرجًا أو صفةً، أو مخرجًا وصفةً، وهو إدغام المتقاربين[4].

فالإدغام ضربٌ من التأثير الذى يقع فى الأصوات المتجاورة إذا كانت متماثلة أو متجانسة أو متقاربة، ويقسم المحدثون تأثير الأصوات إلى نوعين:

الأول: تأثر مُقبل Progressive، ويعنى تأثر الصوت الثانى بالأول.

والثانى: تأثر مُدبر Regressive، ويعنى تأثر الصوت الأول بالثانى[5].

والإدغام عند القُرَّاء ضربان: كبير وصغير.

(أما الكبير فهو ما كان الأول من الحرفين فيه متحركًا)[6] أى أنّ الصامت الأول معه صائت قصير.

---

(١) شرح المفصّل ١٠/ ١٢١.

(٢) ينظر: جمال القراء وكمال الإقراء ٢/ ٤٨٥، والموضح للمهدوى ١٧.

(٣) اللهجات العربية فى التراث ١/ ٣١٤، وينظر: الكشف ١/ ١٣٤.

(٤) ينظر: الكتاب ٢/ ٤٠٧، وشرح الشافية ٣/ ٢٣٤-٢٣٥.

(٥) ينظر: اللهجات العربية فى القراءات القرآنية ١٢٦، والتطور النحوى ٢٩ وما بعدها، والتطور اللغوى، مظاهره وعلله وقوانينه ٢٢.

(٦) النشر ١/ ٢٧٤.

وأما الإدغام الصغير فهو عبارة عما إذا كان الحرف الأول منه ساكنًا، أى أن الصامت الأول لا يفصله عن الثانى صائت[1]، وقد وردت طائفة قليلة من قراءات الجحدرى تمثل النوعين السابقين من الإدغام، وسنبدأ بما قرأه بالإدغام الصغير.

أولا: الإدغام الصغير:

١- قال تعالى:

﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [البقرة].

قرأ الجحدرى «هُدَىَّ» بقلب الألف ياء وإدغامها فى ياء المتكلم، وهى قراءة النبى ﷺ وأبى الطفيل وعبد الله بن أبى إسحاق وعيسى بن عمر[2].

ووجه هذه القراءة (أنه قَلَبَ الألف ياءً وأدغمها فى ياء المتكلم؛ لأن ياء المتكلم لا يكون قبلها إلا مكسورًا، فجعل قلبها إلى الياء لأنها من جنس الكسرة)[3].

والذى يبدو أنّ هذه لغة فاشية فى هذيل وغيرهم، حيث إنهم يقلبون الألف من آخر المقصور إذا أضيف إلى ياء المتكلم - ياءً - قال الهذلى[4]: [من الكامل]

سَبَقُوا هَوَىَّ وأعْنَقُوا لهَوَاهُمُ فتُخِرِّمُوا، ولكلِ جَنْبٍ مَصْرَعُ

وحكى ابن جنى عن قطرب (ت ٢٠٦هـ) قول المنخّل اليشكرى[5]: [من الوافر]

---

(١) اللهجات العربية ١٢٦.

(٢) البحر المحيط ١/١٦٩.

(٣) البيان فى غريب إعراب القرآن ١/٧٦.

(٤) أبو ذؤيب الهذلى، واسمه خويلد بن خالد بن محرث، الشاعر المشهور، والبيت فى المفضليات ٢٠١، وفى المحتسب ١/٧٦. وينظر المؤتلف والمختلف ١١٩-١٢٠.

(٥) ابن مسعود بن عامر بن ربيعة بن عمرو اليشكرى، شاعر جاهلى، كان ينادم النعمان بن المنذر والبيتان فى المحتسب ١/٧٦، وينظر: المؤلف والمختلف ١٧٨، ومعجم الشعراء ٣٨٧.

يُطوّفُ بى عِكَبٌّ فى مَعَدٍّ ... وَيَطْعَنُ بالصُّمُلَّةِ فِى قَفَيَّا
فإن لم تثأرا لى من عِكَبٍّ ... فَلا أرْوَيْتُمَا أبدًا صَدِيَّا

يريد: قَفَايَ.

فلما لم يتمكنوا من كسر الألف قلبوها «ياءً» فقالوا: هذه عَصَيَّ، وهذا فتيَّ، أى عصايَ، وفتايَ، وشبهوا ذلك بقولك: «مَررتُ بالزيدين» لما لم يتمكنوا من كسر الألف للجر قلبوها ياء[1].

وقد وردت مثل هذه القراءة فى ستة مواضع هى: ﴿هُدَايَ ... ﴿٣٨﴾﴾ [البقرة]، و﴿وَمَحْيَايَ ... ﴿١٦٢﴾﴾ [الأنعام]، و﴿يَا بُشْرَىَ ... ﴿١٩﴾﴾ [يوسف]، و﴿مَثْوَايَ...﴿٢٣﴾﴾.[يوسف]، و﴿عَصَايَ...﴿١٨﴾﴾ [طه]، و﴿هُدَايَ...﴿١٢٣﴾﴾ [طه].

والذى يراه الدكتور النعيمى (أن توخى السرعة فى النطق - وهو من صفات البداوة - هو الذى جعل هؤلاء يقلبون الألف ياءً ويدغمونها فى ياء المتكلم ليكون العمل والصوت من وجه واحد، وينتقل لسانهم نقلةً واحدة)[2].

٢- قال تعالى:

﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ...﴿١٢٨﴾﴾ [النساء]

قرأ الجحدرى: «يُصَّلِحَا» أراد «يَصْطَلِحا» أى: «يفتعلا» فآثر الإدغام فأبدل الطاء صادًا ثم أدغم فيها الصاد التى هى «فاء» فصارت «يَصَّلِحَا»[3].

(والصاد من الحروف التى يدغم فيها ما قاربها، ولا تدغم هى فيما قاربها)[4]. وقد تكلم القدماء عن صفات الأصوات ومخارجها وذكروا أن الصاد

---

(١) المحتسب ١/ ٧٦.
(٢) الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جنى ١٩٩.
(٣) ينظر: المحتسب ١/ ٢٠١، والعربية بين أمسها وحاضرها ٩٩.
(٤) الموضح للقرطبى ٩٨.

والطاء من حروف الإطباق والذى يتخذ اللسان معها شكلاً مقعرًا عند النطق بها[1].

ويرى بعض المحدثين (أن الذين قالوا: اصبر واصلح قد تجافت ألسنتهم عن الطاء وغلب عليها صوت الصاد لما فى الطاء من الشدة، فتحولوا إلى صوت رخو، فكان أن جرى على ألسنتهم قلب الشديد إلى رخو يناسب (الفاء)[*]، فأبدلوه من الصاد صادًا وأدغموا)[2].

والذى عليه علماء التجويد أن (ينقل الأضعف إلى الأقوى، إذا تقاربت المخارج ليقوى الكلام، فهذا هو الأكثر فى الأصل... وإذا نقل الأقوى إلى الأضعف ضعف الكلام)[3]. فالموقع الأقوى هو الشرط الأساس للتأثير، ونعنى بقوة الموقع أن يكون الصوت متلوًا بحركة غير قابلة للسقوط، إما لكونها طويلة، وإما لأن حركة سابقة عليها سقطت فامتنع إسقاط الأخرى لأنها تزداد تشبثًا بموقعها وتمنح الصوت قبلها قوة موقعية يفرض تأثيره على الصوت السابق عليه غير ذى الحركة[4].

وطبقًا لقانون المماثلة الذى ذكرناه سنقوم بمعالجة لفظة «يصلحا» ضمن مظهر (الانطباق والانفتاح)، والذى هو أحد حالات المماثلة. فالفعل «صلح» المبدوء بأحد حروف الإطباق - الصاد - نقل إلى صيغة «افتعل» وتحول (التاء) فيها - وهو صوت منفتح - إلى نظيره، الطاء - المطبق - تحت تأثير مجاورته لصوت الصاد.

فصيغة: «صلح» تنقل إلى ← اصتلح فى صيغة «افتعل» ثم تصير بالمماثلة ← اصطلح.

---

(١) ينظر: فقه اللغة ١٥٤، وينظر: فى البحث الصرفى عند العرب ٥٥.

(*) يريد بها فاء الافتعال.

(٢) الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جنى ١٧٣.

(٣) الرعاية ١٨١، وينظر الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ٤٠١.

(٤) ينظر: المنهج الصوتى للبنية العربية ٢٠٨.

وقد علل ابن جنى ذلك (بأنه تقريب صوت من صوت قلب معه أحد الحرفين إلى لفظ صاحبه، ليدغم فيه)[1].

ومعنى هذا أن يقلب الطاء صاداً ثم يدغم فى الصاد التى هى «الفاء» فيصبح «يصلحا».

وهذه المماثلة «مقبلة» لتأثر الصوت الثانى بالأول وهى قليلة ونادرة الوقوع فى اللغة العربية.

ثانيًا: الإدغام الكبير:

١- قال تعالى:

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ... ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة].

قرأ الجحدرى: «يطهَّرن» بفتح الطاء والهاء مع تشديدها والأصل «يتطهرن» فسكن (التاء) وقلبها (طاء) وأدغمها[2].

(والتاء تدغم فى الطاء إذا جاءت بعدها)[3] والحرفان من مخرج واحد إلا أن «الطاء» مجهور عند القدماء[*] والتاء مهموس[4].

فمن قرأ بالتشديد أراد؛ حتى (يغتسلن)، وأصله (يتطهرن)، فاجتمعت، التاء والطاء؛ والتاء مهموسة والطاء مطبقة مجهورة، فكرهوا اجتماعهما، فأسكنوا التاء وأبدلوا منها طاء لقرب مخرجهما؛ وأدغموا الطاء فى الطاء.

---

(١) الخصائص ٢/ ١٤٠، سر الصناعة ١٦٠، وينظر: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جنى ١٧٣.

(٢) ينظر: التبيان فى إعراب القرآن ١/ ٩٤.

(٣) الكتاب ٤/ ٣٧٤.

(*) الطاء صوت مجهور عند القدماء مهموس عند المحدثين، وضابط الجهر والهمس عند القدماء جرى النفس وعدمه، وعند المحدثين اهتزاز الوترين الصوتيين وعدمه.

(٤) ينظر: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جنى ١٧٣.

والحجة لمن خفف أراد ينقطع(*) دمهن(١).

وبموجب قواعد الإدغام المعروفة، فقد أثر الطاء فى التاء لأن القوى من الحروف إذا تقدمه الضعيف مجاوراً له جذبه إلى نفسه إذا كان من مخرجه(٢).

وطبقًا لقانون المماثلة، الذى سبق ذكره، فقد انقلبت التاء إلى نظيرها المطبق وهو الطاء حيث انتقلت من ضعف إلى قوة مكررة(٣) فالمماثلة مدبرة.

ويرى سيبويه أن (الإدغام فى هذا أقوى... والبيان فيهما عربى حسن، لأنهما متحركان)(٤).

وقد نسب هذا النوع من الإدغام إلى أبى عمرو بن العلاء البصرى الذى كان يقول: (الإدغام كلام العرب الذى يجرى على ألسنتها ولا يحسنون غيره)(٥).

٢- قال تعالى:

﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ ... ﴿٢٨٤﴾﴾ [البقرة].

قرأ الجحدرى: «فيغفر لمن» بإدغام الراء فى اللام.

ولا يجيز الخليل وسيبويه إدغام الراء فى اللام لئلا يذهب التكرير حيث قال سيبويه: (والراء لا تدغم فى اللام)(٦).

(*) وعلى هاتين القراءتين ينبنى الخلاف بين الشافعى وأبى حنيفة فى جواز وطء الحائض إذا انقطع دمها لأكثر الحيض قبل الغسل، فأجازه أبو حنيفة ومنعه الشافعى.
جاء فى اللباب - وهو كتاب فى الفقه الحنفى - (وإن انقطع دمها - أى: الحائض - لعشرة أيام جاز وطؤها قبل الغسل) لأن أكثر الحيض عند الأحناف عشرة أيام.
انظر تفصيل ذلك فى اللباب فى شرح الكتاب ٤٨، ٤٩، أنوار التنزيل ١/ ١٢٠، وحاشية الصاوى على الجلالين ١/ ٩٦-٩٧.

(١) ينظر: الحجة ٧٢، ومعانى القرآن للفراء ١/ ١٤٣، البيان فى غريب إعراب القرآن ١/ ١٥٥.
(٢) ينظر: الرعاية ١٨٠، والدراسات الصوتية عند علماء التجويد ٤٠٠.
(٣) ينظر: المحتسب ١/ ٥٩، والكشف ١/ ١٣٥.
(٤) الكتاب ٢/ ٤٢٥ بولاق.
(٥) النشر ١/ ٢٧٥.
(٦) الكتاب ٢/ ٤١٢ بولاق، وينظر: شرح المفصل ١٠/ ١٤٣، وتوجيه القراءات القرآنية فى كتب معانى القرآن ١٥٦.

وتابعه على ذلك ابن يعيش عندما ذكر أن الراء لا تدغم إلا فى مثلها، ولا تدغم فى غيرها لئلا يذهب التكرير الذى فيها بالإدغام.

وقد أجاز الكسائى إدغام الراء فى اللام قياسًا وحجتهم فى ذلك أن الراء إذا أدغمت فى اللام صارت لامًا، ولفظ اللام أسهل وأخف من أن تأتى بـ (راء) فيها تكرير وبعدها لام، وهى مقاربة للفظ الراء فيصير كالنطق بثلاثة أحرف فى موضع واحد[1].

وذكر ابن الجزرى أن الراء تدغم فى اللام إذا تحركت بأى حركة، وذلك كله مروى جائز للقُرَّاء[2].

واللام والراء صوتان لثويان، «فاللام» صوت لثوى متوسط مجهور منفتح و«الراء» صوت لثوى متوسط مجهور تكرارى منفتح، ويسمى بالتكرارى؛ لأن طرف اللسان فيه يطرق اللثة طرقتين أو ثلاثًا[3] وهذا عند المحدثين.

وروى عن أبى عمرو (ت ١٥٤هـ) - وهو بصرى - أنه أدغم الراء فى اللام فى قوله تعالى: ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾ ورده الزمخشرى، وقال: (إنه لحن ونسبته إلى أبى عمرو كذب، وكيف يليق مثل هذا اللحن بأعلم الناس بالعربية)[4].

ورد أبو حيان على الزمخشرى الذى لحن قراءة أبى عمرو بن العلاء وعزا ذلك اللحن إلى قلة ضبط الرواة والذى كان سببه - على حد قول الزمخشرى - قلة الدراية والذى لا يضبطه إلا أهل النحو.

قال أبو حيان وهو يرد على الزمخشرى ويأخذ عليه كثرة الطعن على القُرَّاء واقتصاره على ما نقله البصريون دون الكوفيين والذين هم ليسوا أقل شأنًا من قراء

---

(١) ينظر: شرح الشافية ٣/ ٢٧٤، وشرح المفصل ١٠/ ١٤٣، والممتع فى التصريف ٧٢٥، والمبدع ٢٨٠.

(٢) ينظر: أبو عمرو بن العلاء وجهوده فى القراءة والنحو ٨٦، والنشر ١/ ٢٩٢.

(٣) ينظر: فقه اللغة ١٤٧، والوجيز، للأنطاكى ١٨٩، ١٩١.

(٤) الكشاف ١/ ٣٣٠.

البصرة فى قـوة الضبط وكثرة الدراية حـيث كانوا أئمة فى النحـو والقراءات قال: وذلك على عـادته فى الطعن على القراء؛ وأمـا ما ذكره أن مـدغم الراء فى اللام لاحن مخطئ خطأ فاحشًا... فهذه مسـألة اختلف فيها النحويون، فذهب الخليل وسيبويه... إلى أنه لا يجوز إدغام الراء فى اللام من أجل التكرير الذى فيها.

. . . . . .

ولسان العرب ليس مـحصوراً فيما نقله البصـريون فقط، والقراءات لا تجيء على ما علمه البصريون ونقلوه، بل الـقراء من الكوفيين يكادون يكونون مثل قراء البصرة.

وقد اتفق على نقل إدغام الراء فى اللام كبيـر البصريين ورأسهم؛ أبو عمرو ابن العلاء، ويعقـوب الحضرمى، وكبراء أهل الكوفـة؛ الرؤاسى والكسائى والفراء وأجازوه ورووه عن العرب فوجب قبـوله والرجوع فيه إلى علمهم ونقلهم إذ: من علم حجة على من لم يعلم.

وأما قول الزمخشرى أن راوى ذلك عن أبى عـمرو مخطئ مرتين؛ فقد تبين أن ذلك صواب، والذى روى ذلك عنه الرواة ومنهم أبو محمد اليزيدى، وهو إمام فى النحو إمام فى القراءات إمام فى اللغات[1].

والغريب أن الزمخشـرى بهذا رد قراءة سبعية قرأ بها إمـامان من أئمة النحو والقراءات، وعَلَـمان من أعلام اللغـة؛ أبو عمـرو بن العلاء البصـرى، وعلى بن حـمزة الكسـائى؛ والقراء أجل من أن يخـطئوا، وحـيث إنهم هم أدق الناس فى رواياتهم وأحرصهم على سلامة النقل، فقد تلقـوا القراءة مشافهة من أفواه الرجال متصلة السند إلى رسول الله ﷺ.

ولما أجاز الكسائى والفـراء «إدغام الراء فى اللام قياسًا»، واحتجـوا لها فقد ذكر ابن الجزرى: (أن ذلك كله مروى جائز للقُرَّاء)[2].

---

(١) ينظر: البحر المحيط ٢/ ٣٦١ وما بعدها.

(٢) النشر ١/ ٢٩٢.

٣- قال تعالى:

﴿يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ ... ﴿٢٠﴾﴾ [الأحزاب].

قرأ الجحدرى: «يَسَّاءلون» بالتشديد وإدغام التاء فى السين حيث إن أصلها «يتساءلون» فأدغم التاء فى السين (لقربها من المخرج. وأدغمت التاء فى السين ولم تدغم السين فى التاء لأن فى السين زيادة صوت، لأنها من حروف الصفير)[١].

وقد وصف المحدثون هذين الصوتين؛ «فالتاء» عندهم صوت أسنانى لثوى شديد مهموس منفتح، و«السين» صوت أسنانى لثوى رخو مهموس منفتح، فهما مشتركان فى كل الصفات إلا أن الأول شديد والثانى رخو[٢].

وقد عرف سيبويه الصوت الشديد بأنه: (الذى يمنع الصوت أن يجرى فيه، وعن الرخو قال: وذلك إذا قلت الطس، وانقض، وأشباه ذلك أجريت فيه الصوت إن شئت، وقد اشترك الصوتان بصفة الهمس؛ ولذلك قوى الإدغام بينهما)[٣] (فيدغم الأنقص صوتًا فيما هو الأزيد صوتًا، ولا يدغم الأزيد صوتًا فيما هو الأنقص صوتًا، لأنه يؤدى إلى الإجحاف به، ويبطل ما له من الفضل على مقاربه)[٤].

وبناء على مفهوم المماثلة فإن صوت «السين» قد أثر فى صوت «التاء» فجذبه إليه، ففنى «التاء» فيه فناء تاما، فالمماثلة مدبرة إذن لتأثر الصوت الأول بالثانى.

---

(١) البيان فى غريب إعراب القرآن ١/ ٢٤٠.

(٢) ينظر: فقه اللغة ١٤٩، والوجيز للإنطاكى ١٨٦-١٨٧.

(٣) الكتاب ٢/ ٤٠٥-٤٠٦، وينظر: الموضح ٨٩، وفى البحث الصوتى ٤٦.

(٤) البيان فى غريب إعراب القرآن ١/ ٢٤٠.

المبحث الثالث

التغاير

وهذا مصطلح اقترحناه، ونريد به ما قرأه الجحدرى مغايراً للمشهور من قراءة عاصم، بلفظ يفترق عن المشهور بصوت صامت أو بمصوت، ولم أستعمل لفظ الإبدال لأن له مفهومًا اصطلاحيًا لا يدخل تحته ما نحن بصدده، فالتغاير بين الصاد والضاد فى «قبصت وقبضت» مثلاً، هو مغايرة بين صوت صامت وآخر مثله، ولا نرى فى نحو هذا إبدالا.

وقد رأينا الجحدرى قد غاير بين الصوامت التى هى من أصوات الحلق، فقد قرأ: «عزة» «غرة» فى قوله تعالى: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝٢﴾ [ص].

فقد غاير بين العين والغين، وهما صوتان مجهوران رخوان.

ولما كان مصطلح الإبدال أعم من التغاير وأشمل؛ لذا تكلم عليه القدماء، وعرفوه فى كتبهم بتعاريف عديدة وعلى رأس هؤلاء العلماء: «سيبويه» الذى نص على أن الإبدال: ظاهرة صوتية من ظواهر اللغة العربية، وسنة من سنن العرب فى كلامهم[1]، ويكون ذلك بإقامة حرف مكان حرف آخر غيره لدفع الثقل؛ إما ضرورة وإما صنعة واستحسانًا[2].

والإبدال فى اللغة مصدر قولك: أبدلت كذا من كذا، إذا أقمته مقامه. وهو فى اصطلاح الصرفيين؛ جعل حرف مكان حرف آخر مطلقًا ويقع عندهم فى اثنى عشر حرفًا جمعها أبو على القالى (ت ٣٥٦هـ) بعبارة (طال يوم أنجدته).

وهذا ما لا نعنيه هنا، ومحله مباحث الصرف، إلا أن الذى يعنينا فى هذا المبحث هو (الإبدال اللغوى) والذى يريد به المحققون من علماء اللغة: إقامة حرف

---

(١) الكتاب ٤/٤٧٩، وانظر الصاحبى ٢٠٣، ومن أسرار اللغة ٧٠.

(٢) ينظر: شرح المفصل ١٠/٥٧، وشرح الشافية ٣/١٩٧، والتعريفات ١٣.

مكان حرف مع الإبقاء على سائر أحرف الكلمة[1]، على أن الأصل فى الإبدال أن يكون فيما تقارب وتدانى من الحروف، وهذا قائم على اختلاف اللغات، والغرض منه إرادة الخفة والمجانسة، ويقع هذا النوع من الإبدال فى حروف كثيرة[2] لذا قال ابن الضائع (ت ٦٨٠هـ) (قلما نجد حرفا إلا وقد جاء فيه الإبدال ولو نادرًا)[3].

والكلمات التى فسرت على أنها من الإبدال حينا، أو من تباين اللهجات حينا آخر جاءت نتيجة التطور الصوتى، فالكلمة ذات المعنى الواحد حين تروى لها المعاجم صورتين أو نطقين ويكون الاختلاف بين الصورتين، لا يتجاوز حرفًا من حروفها يمكن تفسيره على أن إحدى الصورتين أصل والأخرى فرع لها أو تطور عنها؛ والتطور محكوم بوجود علاقة صوتية بين الحرفين المبدل والمبدل منه من قرب فى الصنعة أو قرب فى المخرج[4].

(ولا تعد هذه الظاهرة حكرًا على اللغة العربية بل هى ظاهرة شائعة بين اللغات)[5].

فالذى يراد من عملية الإبدال هو التقريب بين صوتين متجاورين والتخفيف على الناطق بأن لا يتكلف أثناء النطق ولا يبذل جهدا، ومما لا شك فيه أن (الإبدال كثير ولا يحصره ضابط)[6].

---

(١) ينظر: أبو عثمان المازنى ١٣٦، والإبدال لأبى الطيب ١/ ٩، والأمالى للقالى ٢/ ١٩٦، ودراسات صرفية ٤.

(٢) ينظر: سر الصناعة ١/ ١٩٧، والموضح للمهدوى ١١٧، والمشكلات اللغوية فى القراءات القرآنية ١٩٣.

(٣) المزهر ١/ ٤٦١. وينظر: توجيه القراءات القرآنية فى كتب معانى القرآن ٣١٦.

(٤) ينظر: من أسرار اللغة ٧٥، وتاريخ آداب العرب ١/ ١٨٤-١٨٥، وينظر: الأضداد فى اللغة، د. محمد حسين آل ياسين ٢٥ وما بعدها.

(٥) ينظر: الأصوات اللغوية ١٧٩، لهجة أسد ٨٧.

(٦) الترادف فى اللغة ٢٨٦.

ومن وقوفنا على المصادر المتيسرة تمكنا من رصد مجموعة يسيرة من قراءات الجحدرى التى غاير فيها بين الصوامت، ومجموعة أخرى وقعت فيها المغايرة بين الصوائت. منها:

التغاير فى الصوامت:

١- قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ... ﴿٥٢﴾﴾ [الأعراف].

قرأ الجحدرى: «فضلناه» بالضاد المنقوطة، والمعنى فضلناه على جميع الكتب عالمين بأنه أهل للتفضيل عليها[١].

أما قراءة «فصلناه» أى بيناه بالأخبار والوعد والوعيد أو بينا معانيه من العقائد والأحكام والمواعظ مفصلة[٢].

والتغاير بين (الصاد والضاد) واقع فى القراءات، فالقبضة غير القبصة فى لغة العرب وفى قراءة من قرأ: ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ ... ﴿٩٦﴾﴾ [طه]. فقبصت قبصة بالصاد.

والصاد صوت مهموس رخو ومخرجه من بين طرف اللسان وفويق الثنايا العليا والضاد مجهور مطبق ومخرجه عند سيبويه من بين طرف اللسان وما يليه من الأضراس[٣].

٢- قال تعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ... ﴿٥٧﴾﴾ [الأعراف].

---

(١) ينظر: الكشاف ٢/ ١٠٩، والبحر المحيط ٤/ ٣٠٦، وحاشية الصاوى على الجلالين ٢/ ٧٢.

(٢) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١/ ٣٤١، وحاشية الصاوى على الجلالين ٢/ ٧٢.

(٣) ينظر: الكتاب ٢/ ٤٠٥ بولاق، وسر الصناعة ١/ ٥٣، وفقه اللغة ١٥٠، والأصوات اللغوية ١٣٠، ١٣٢.

قرأ الجحدرى: «نشرا» بضم النون وسكون الشين وتنوين الراء. وخفف (العين) كما خفف فى «كتب» و«رسل»[1].

قال ابن جنى: (أما «نشرا» فتخفيف «نشرا» فى قراءة العامة، والتثقيل أفصح؛ لأنه لغة الحجازيين، والتخفيف فى نحو ذلك لتميم)[2].

والذى حصل فى هذه القراءة أنه غاير بين الباء والنون فالباء (صوت شفوى شديد مجهور منفتح ومخرجه من الشفتين)[3] والنون صوت لثوى متوسط مجهور أنفى منفتح ومخرجه عند سيبويه من طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا[4].

ثانيا: التغاير فى المصوت القصير:

أ - ما قرأه بالضم:

(١) ما قرأه بضم الفاء:

١- قال تعالى:

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ... ﴿٥٤﴾﴾ [الروم].

قرأ الجحدرى: بضم الضاد فى الثلاثة المواضع فى هذه الآية، ومما يمكن أن يقوى قراءة الجحدرى هذه ما روى عن حفص أنه قال: (ما خالفت عاصما فى شىء مما قرأت به عليه إلا فى ضم هذه الثلاث كلمات)[5].

والضم والفتح مصدران، وهما لغتان، كالفَقر والفُقر[6].

---

(١) ينظر: مجاز القرآن ٢/ ٢١٧ هامش ٣، والتفسير الكبير ١٤/ ١٣٨، والقراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث ٢٥٠.

(٢) المحتسب ١/ ٢٥٥، وينظر: المجتبى ٣٧.

(٣) الكتاب ٢/ ٤٠٥، فقه اللغة ١٤٩، وينظر: الأصوات اللغوية ١٣٣.

(٤) ينظر: الكتاب ٢/ ٤٠٥، وفقه اللغة ١٥١، والوجيز ١٩٢، والأصوات اللغوية ١٣١.

(٥) إعراب القرآن ٣/ ٢٧٨، الكشف ٢/ ١٨٦، وينظر قراءة شعبة ٦٥

(٦) الكشف ٢/ ١٨٦، البحر المحيط ٤/ ٥١٨، أدب الكاتب ٤٢٤.

قال الثعالبى (ت٤٢٩هـ) («الضعف» بالفتح؛ فى الرأى وبالضم فى الجسد)[١] وقد ذكروا أن الفتح لغة تميم، والضم لغة الحجاز[٢].

٢- قال تعالى:

﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الواقعة].

قرأ الجحدرى: «رُوح» بضم الراء.

فمن قرأ بالفتح فمعناه الفرح، أو فله استراحة وبرد[٣].

ومن قرأ بضم الراء، فعلى معنى الرحمة، لأنها كالسبب لحياة المرحوم، وقيل البقاء، وقيل حياة دائمة فى الجنة لا موت معها[٤].

ذكر العكبرى (ت٦١٦هـ) أن الفتح مصدر، والضم اسم له[٥].

وذكر ابن منظور (ت٧١١هـ) أن المراد (بالروح) الذى يقوم به الجسد وتكون به الحياة، وقد نص على أن الروح والنفس واحد، غير أن الروح مذكر والنفس مؤنثة عند العرب[٦].

وقيل: (الرَّوح بالفتح: برد النسيم، والرُّوح: الراحة)[٧].

٣- قال تعالى:

﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾﴾ [الجن].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٤/ ٤٦، البحر المحيط ٤/ ٥١٨.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ١٤/ ٤٦، والبحر المحيط ٤/ ٥١٨.

(٣) مجاز القرآن ٢/ ٢٥٣، وينظر: إعراب النحاس ٣/ ٣٤٥، والكشاف ٤/ ٤٧٠، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل ٢/ ٤٦٤.

(٤) ينظر: معانى القرآن للفراء ٣/ ١٣١، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٤٥، وقراءة يعقوب الحضرمى ٤٨.

(٥) التبيان فى إعراب القرآن ٢/ ٢٥٥.

(٦) لسان العرب مادة (روح)، وينظر: قراءة يعقوب الحضرمى ٤٨.

(٧) المثلث: للبطليوسى ٢/ ٤٤.

قرأ الجحدرى «لبدا» بضم اللام والباء.

قال ابن جنى أن (هذا من الأوصاف التى جاءت على «فعل» كرجل «طلق» وناقة «سرح»)[1].

وقال الزمخشرى: (و «لبدا» بضمتين جمع «لبود» كـ «صبور» و«صبر»)[2].

وقرأ الجحدرى كذلك «لبدا» بضم اللام وتشديد الباء المفتوحة وبها قرأ الحسن البصرى.

وقد وجه ابن جنى هذه القراءة وذكر أن هذا وصف على «فعل» ونحوه: الزمل[*]. وذكر أن «اللبد» الكثير يركب بعضه بعضا، حتى يتلبد من كثرته[3].

وقال بعضهم يجوز أن يكون «لبد» جمع «لابد» فيكون مثل: «راكع» و«ركع»[4].

ب- ما قرأه بالكسر:

(١) كسر الفاء:

١- قال تعالى:

﴿طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا ... ﴿٩٥﴾﴾ [المائدة].

قرأ الجحدرى: «عِدل» بكسر العين.

وقرأ الجمهور «عدل»: (والفرق بينهما أن «عدل» الشىء ما عادله من غير جنسه، كالصوم والإطعام.

---

(١) المحتسب ٢/ ٣٣٤، وينظر: مجمع البيان ١٠/ ٣٧٠.

(٢) الكشاف ٤/ ٦٣٠.

(*) الزمل: الجبان الضعيف، كأنه سمى بذلك؛ لأنه يتزمل بثيابه فينام، المنجد ٣٠٦.

(٣) ينظر: المحتسب ٢/ ٣٣٤.

(٤) ينظر: مجمع البيان ١٠/ ٣٧٠، وينظر: الظواهر اللغوية فى قراءة الحسن البصرى ٧٠.

وعدله: ما عدل به فى المقدار، ومنه عدلا الحمل، لأن كل واحد منهما عدل بالآخر حتى اعتدلا، كأنّ المفتوح تسمية بالمصدر، والمكسور بمعنى المفعول به كالذبح(*) ونحوه، ونحوهما الحمل والحمل)(١).

جاء فى أدب الكاتب: (و«عدل الشىء» مثله و«عدل الشىء» زنته)(٢).

٢- قال تعالى:

﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ... ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء ٢٤].

قرأ الجحدرى: «الذِّل» بكسر الذال.

وقرأ الجمهور «الذُّل» بضم الذال، وهو ضد العز.

فمن قرأ بالكسر؛ فعلى الاستعارة فى الناس، لأن ذلك يستعمل فى الدواب فى ضد الصعوبة كما أن «الذل» بالضم فى ضد الغير من الناس، وبقراءة الكسر قرأ ابن عباس وابن وثاب(٣).

فـ «الذل» ضد الصعوبة، و«الذل» ضد العز، ويستعمل الأول فى الدابة والثانى فى الإنسان، فيقال: دابة ذلول بينة الذل إذا لم تكن صعبًا، ورجل ذليل بين الذل(٤).

٣- قال تعالى:

﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ ... ﴿٢٣﴾﴾ [الزخرف].

قرأ الجحدرى: «إمة» بكسر الهمزة. وبها قرأ مجاهد وقتادة وعمر بن عبدالعزيز.

(*) الذبح: مصدر ذبحت و«الذبح» المذبوح، أدب الكاتب: ٢٤٠.

(١) الكشاف ١/ ٦٧٩.

(٢) أدب الكاتب ٢٣٩.

(٣) ينظر: التبيان ٢/ ٩٠، البحر المحيط ٦/ ٢٨.

(٤) ينظر: أدب الكاتب ٢٤٣، ومجمع البيان ٦/ ٤٠٨.

وقراءة الجمهور على «أمة» بضم الهمزة.

قال مجاهد (ت١٠٣هـ) وقطرب (ت٢٠٦هـ) على ملة، وقال الجوهرى (ت٣٩٣هـ) والأمة الطريقة، والذى يقال: فلان لا أمة له أى: لا دين له ولا نحلة[١].

قال الشاعر[*]: [من الطويل]

..... وهل يستوى ذو أمة وكفور

وذكر النحاس أن هذه القراءة هى التى عليها اجتماع الحجة واللغة المعروفة وحجتهم قول الله تعالى:

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ... ﴿٢١٣﴾﴾ [البقرة]. أى: على دين واحد[٢].

أما من قرأ: «إمة» بالكسر، فعلى معنى الطريقة الحسنة، وهى لغة فى «الأمة» بالضم[٣].

وقال بعضهم: «الإمة» النعمة، والدين: «إمة» و«أمة»[٤].

جـ- ما قرأه بالفتح:

(١) فتح الفاء:

١- قال تعالى:

﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم].

قرأ الجحدرى: «ثَمَّ» بفتح الثاء، أى: هناك.

---

(١) ينظر: البحر المحيط ٨/ ١١.

(*) لم أقف على قائله.

(٢) ينظر: إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٨٥.

(٣) البحر المحيط ٨/ ١١.

(٤) أدب الكاتب ٢٤٩، ٤٣٤.

وقرأ الجمهور «ثُمَّ» بحرف العطف، وهذا يعنى أن الورود عام[1]، فـ (ثم) بالضم (حرف عطف يفيد الترتيب والتراخى)[2].

و«ثم» بفتح الثاء وتشديد الميم، إشارة إلى مكان متراخ[3] (وهو اسم إشارة يشار به إلى المكان البعيد، وهى ظرف لا يتصرف ولا يتقدمه حرف تنبيه ولا يتأخر عنه كاف الخطاب)[4].

وبقراءة «الفتح» قرأ ابن مسعود وابن عباس وابن أبى ليلى[5].

٢- قال تعالى:

﴿قَالَ يَا بْنَؤُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي ... ﴿٩٤﴾﴾ [طه].

قرأ الجحدرى: «بلَحيتى» بفتح اللام، وهى لغة أهل الحجاز[6].

وقد ذكر ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) أن ما جاء على «فعلة» فيه لغتان؛ «فعلة» بفتح الفاء وسكون العين، و«فعلة» بكسر الفاء وسكون العين[7].

وقيل: أن فتح اللام لغة، وقد قرئ بهما، أى: بالفتح والكسر[8].

٣- قال تعالى:

﴿وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً ﴿١١﴾﴾ [الأحزاب].

قرأ الجحدرى: «زَلزالا» بفتح الزاى.

وكذا قرأ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾﴾ [الزلزلة].

---

(١) ينظر: البحر المحيط ٦/ ٢١٠.

(٢) معانى النحو ٣/ ٢٣١.

(٣) حروف المعانى ٩.

(٤) حاشية الدسوقى على مغنى اللبيب ١/ ١٢٩.

(٥) ينظر: الكشاف ٣/ ٣٦.

(٦) ينظر: الكشاف ٣/ ٨٤.

(٧) أدب الكاتب ٤٣٣.

(٨) التبيان فى إعراب القرآن ٢/ ١٢٦.

وقد ذكر الصرفيون أن مصادر غير الثلاثى قياسية أى: يقاس مصدر فعل منه على آخر ويكون قياسه على «فعللة» أما إذا كان الرباعى المجرد مضعفًا؛ أى: فاؤه ولامه الأولى من جنس، وعينه ولامه الثانية من جنس فإن مصدره يكون على وزن: «فعللة» أو «فعلال» مثل: زلزل زلزلة وزلزالا[1].

وذكر أبو حيان أن مصدر «فعل» من المضاعف يجوز فيه الكسر والفتح نحو: قلقل قلقالا.

وقد يراد بالمفتوح اسم الفاعل، فـ «صلصال» بمعنى «مصلصل» واسم الفاعل - كما يقول النحاة - يدل على الحدث والحدوث وفاعله[2].

وقد جاء فى شذا العرف: إذا فتح أول مصدر المضعف فالكثير أن يراد اسم الفاعل نحو قوله تعالى: ﴿مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾﴾ [الناس]. أى: الموسوس[3].

أما فى غير المضعف فهو سماعى، وما سمع منه على «فِعلال» مكسور الفاء نحو: سَرْهَفَ سِرهافًا[4].

(٢) فتح العين:

١ - قال تعالى:

﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ ... ﴿٣﴾﴾ [المائدة].

قرأ الجحدرى: «النَّصَب» بفتح النون والصاد، وهو اسم بمعنى المنصوب؛ «كالقَبَض» و«النَّقَض» بمعنى المقبوض والمنقوض[5].

---

(١) ينظر: الرضى على الشافية ١/ ١٥، والممتع ١/ ١٥١، وعمدة الصرف ١٨، ٢١، وإزالة القيود ٣١، والصرف للضامن ١٢٩.

(٢) ينظر: البحر المحيط ٧/ ٢١٧، وشرح التصريح ٢/ ٦٥، معانى الأبنية ٤٦.

(٣) ينظر: شذا العرف فى فن الصرف ٧٢.

(٤) ينظر: البحر المحيط ٧/ ٢١٧، وشذا العرف ٧٢.

(٥) التبيان فى إعراب القرآن: ١/ ٢٠٧.

وقراءة الجمهور: «النُّصُب» وهو واحد الأنصاب، والأنصاب الحجارة التى كانوا يعبدونها[1].

وقيل: هى الأصنام، وسميت نُصبًا لأنها تُنصَب وتُرفَع لِتُعَظَّم وتُعبَد[2].

وقرأ كذلك فى سورة «ص»: (بنَصَب) فى قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾﴾ [ص].

وأجمع القرَّاء على ضم النون، إلا ما رواه حفص عن عاصم بالفتح، وهما لغتان معناهما، ما يُصيب البدن من تعب الضر وألم الوجع[3].

«والنُّصُب» ما نُصِب، وحجتهم قوله تعالى:

﴿كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [المعارج].

أما «النَّصَب» فهو التعب، واحتجوا بقوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾﴾ [الكهف][4].

٢- قال تعالى:

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا ... ﴿٨﴾﴾ [العنكبوت].

قرأ الجحدرى: «حَسَنًا» بفتحتين.

وقراءة الجمهور «حُسْنًا» بضم الحاء وإسكان السين.

وقد وجَّه ابن جنِّى قراءة الجحدرى «حَسَنًا» فقال: (تحتمل اللغة أن تكون «حَسَنًا» هنا مصدرًا، كالمصادر التى اعتقب عليها، «الفُعْل» و«الفَعَل» نحو: «الشُغْل» و«الشَغَل» و«البُخْل» و«البَخَل»)[5].

---

(١) ينظر: مجاز القرآن ١/ ١٥٢، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١/ ٢٥٤.

(٢) ينظر: حاشية الصاوى على الجلالين ١/ ٢٥٠.

(٣) الحجة لابن خالويه ٢٧٩ [ورواية حفص فى المصحف الذى بين أيدينا لا تخرج عن إجماع القرَّاء].

(٤) أدب الكاتب ٢٤٣.

(٥) المحتسب ٢/ ٢٦٥، وينظر: الظواهر اللغوية فى قراءة أهل الحجاز ٦٤.

(وقد انتصب «حَسَنًا» على أنَّه مصدر وُصِف به مصدر.

وصَّينا: أى إيصاءً حَسَنًا، أى: ذا حُسْنٍ أو على سبيل المبالغة، أى: هو فى ذاته حَسَن)[1].

ما قرأه بالإسكان:

(١) قال تعالى:

﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾﴾ [البقرة].

قرأ الجحدرى: «وَهْوَ» بسكون الهاء.

والوجه فى قراءة الجحدرى أن الهاء لمّا توسطت مضمومة بين واوين ثَقُل ذلك والعرب تجيز التحريك والتسكين فى أصوات الحلق[2]، فضلاً أن الهاء لما اتصلت بما قبلها من - واو - وكانت لا تنفصل عنها صارت كالكلمة الواحدة، فَخُفِّفَت الكلمة وأسكن الوسط فصارت تشبه فى ذلك لفظة «عَضُدَ» التى مالت العرب إلى تخفيفها فقالت: «عَضْدَ» وهى لغة مشهورة مستعملة[3].

والقبائل البدوية التى تميل إلى السرعة فى النطق والاقتصاد فى المجهود العضلى هى التى تميل إلى التخفيف كبنى تميم، وأسد وبعض قبائل نجد[4].

إسكان هاء الكناية:

قرأ الجحدرى بإسكان هاء الكناية فى موضعين فقط:

قال تعالى:

١- ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ ... ﴿٧٥﴾﴾ [آل عمران].

٢- ﴿لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ ... ﴿٧٥﴾﴾ [آل عمران].

وقد يكون هناك علتان لإسكان «الهاء» فى هذين الحرفين.

---

(١) البحر المحيط ٧/ ١٤٢.

(٢) ينظر: معانى القرآن للفراء ٢/ ١١٢، المغنى فى توجيه القراءات ١٢١.

(٣) ينظر: اللهجات العربية فى التراث ١/ ٢٤٢، والمغنى فى توجيه القراءات ١٢١.

(٤) ينظر: اللهجات العربية فى القراءات القرآنية ١٦٣، والظواهر اللغوية فى قراءة الحسن البصرى ٢٣٦.

الأولى: لما جزمت هذه الأفعال حذفت الياء من أواخرها فصارت (الهاء) فى موضع لام الفعل، فحلّت محلها فأسكنت كما تسكن لام الفعل للجزم - ألا ترى أنهم قالوا: لم يَقْرَ فلان القرآن فحذفوا حركة الهمزة للجزم، فأبدلوا من الهمزة الساكنة ألفًا لانفتاح ما قبلها ثم حذفوا أيضًا الألف للجزم، كذلك حذفوا الياء قبل الهاء للجزم وأسكنوا «الهاء» للجزم إذا حلّت محل ياء الفعل.

الثانية: من العرب من يسكن (هاء الكناية) إذا تحرك ما قبلها، فيقولون: ضرَبْتُه ضربًا شديدًا، يحذفون صلتها ويسكنونها، كما يفعلون بميم الجمع فى:

«أنتُم، وعليكم» يحذفون صلتها ويسكنونها وهو الأكثر فى الميم، فالهاء إضمار والميم إضمار فجريا مجرًى واحدًا فى جواز الإسكان وحذف الصلة وهى فى الميم كثير وعليه جماعة القرّاء فى الميم، وقد كان يجب أن يكون الحذف مع الهاء أقوى منه مع الميم لأن صلة (الميم) من الأسماء يُضمر وصلة «الهاء» إنما هى تقوية، فإذا حَسُنَ حذف ما هو أصل فحذف ما هو غير أصل أقوى[1].

وذهب المهدوى إلى أن من أسكن «الهاء المتصلة بالفعل المجزوم إنما شبَّهها بياء المتكلم، من حيث كانت كل واحدة منهما ضميرًا، فأسكنوها تشبيهًا بياء المتكلم»[2].

وللعلماء آراء أخرى فى تسكين هاء الكناية منها:

أولا: إنه من أسكن الهاء توهم أنها لام الفعل، لكونها آخرًا، فأسكنوها للجزم أو للبناء.

ثانيًا: إنه أسكن على نية الوقف.

ثالثًا: إن تسكين الهاء هو لغة لبعض العرب، فقد حكى سيبويه أن بعض العرب يقولون: (هذهْ أَمَةُ اللَّه)[3].

---

(١) ينظر: الكشف ١/ ٣٤٩- ٣٥٠.

(٢) الموضح للمهدوى ٣٣٣.

(٣) ينظر: الكتاب ٣/ ٢٨٥، ٤/ ١٩٨، والكشف ١/ ٤٧١، والموضح ٣٣٣.

المبحث الرابع
الإمالة

الإمالة: (عدول بالألف عن استوائه وجنوح به إلى الياء فيصير مخرجه بين مخرج الألف المفخمة وبين مخرج الياء)[١].

وهو المقصود بالإمالة عند إطلاقه فى كتب اللغة والقراءات ويقابلها الفتح.

والفرق الصوتى بين الإمالة والفتح أن الألف الممالة صوت ليّن نصف ضيِّق، أما الألف غير الممالة - فى حالة الفتح - فصوت ليِّن نصف متَّسع[٢].

وذكر سيبويه أن الخليل سمَّاها «الإجناح»[٣].

وقد ذكر النحاة أن الغرض من الإمالة؛ تقريب الألف نحو الياء والفتحة نحو الكسرة فهى لتقريب الصوت من الصوت[٤].

وقد تابع المحدثون القدماء فى تقسيم الإمالة إلى صغرى وكبرى، ووضعوا لها مقاييس ورموزًا دولية[٥]، وممن حرص على استعمال الرمز الدولى الدكتور التهامى الراجحى الهاشمى ولكنه مع ذلك حدّد مواضع الإمالة العربية على النظام المعيارى العالمى برموزه اللاتينية ولم يضع رمزًا عربيًا للإمالة.

والذى نراه ونميل إليه هو ما رآه الدكتور حسام النعيمى وهو يحاول التخفيف عن الرموز بعض الثقل الذى أصابها، وهو يقول: (ونحن نرى أنّ فى اصطناع الرسم العربى ما يتفق وخصوصية لغتنا، بل إننا نرى فى ذلك ما يُخفِّف عنه هذه الرموز بعض الثقل مما كان دى سوسور (ت١٩١٣م) قد شكا منه[٦].

---

(١) شرح المفصل ٩/ ٥٤.

(٢) فى البحث الصوتى عند العرب ٧٨.

(٣) الكتاب ٣/ ٢٧٨، وينظر: فى البحث الصوتى ٧٨.

(٤) ينظر: الكتاب ٤/ ١١٧، والخصائص ٢/ ١٤١، والكشف ١/ ١٦٨، والتطور النحوى ٥٩، ونحو القرّاء الكوفيين ٢٥٥.

(٥) الإمالة فى القراءات القرآنية ٦٧، ٦٨، دراسة الصوت اللغوى ٢٧٥.

(٦) أصوات العربية بين التحول والثبات ١٠١، وينظر علم اللغة العام ٥٢

وقد وضع النعيمى رموزًا للصوائت الطويلة والقصيرة كما وضع الرمز / لا/ لصوت إمالة الألف فى نحو: ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا ... ﴿٤١﴾﴾ [هود].

علل الإمالة:

ويرى العلماء أنّ الأصل فى الكلام الفتح، والإمالة تدخل فى بعض اللغات لعلّة. والعلل الموجبة للإمالة فى مذاهب القراء علتان تتفرع منها خمس عِلل. والعلتان: «الياء والكسرة» والعلل الخمس:

أولا: أن تكون الإمالة فى ألف منقلبة عن ياء.

ثانيًا: أو فى ألف مشبّهة بالألف المنقلبة من ياء.

ثالثًا: أو تكون الألف قد ترجع إلى الياء فى بعض الأحوال.

رابعًا: أو يكون قبل الألف كسرة تُمال الألف من أجلها.

خامسًا: أو الإمالة للإمالة[1].

وقد أجمل مكى القيسى هذه العلل وجعلها ثلاثا[2]:

أولا: الكسرة.

ثانيًا: ما أُميل ليدل على أصله.

ثالثًا: الإمالة للإمالة.

وبالرجوع إلى المصادر المتيسرة لدينا تمكنا من رَصْدِ أربع إمالات أمالها الجحدرى؛ اثنتين منها فى الاسم واثنتين فى الفعل.

إمالته فى الاسم؛ وذلك فى موضعين فقط:

١- قال تعالى:

﴿قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ ... ﴿١٤٤﴾﴾ [الأعراف].

---

(١) الموضح للمهدوى ١٩٢، وينظر: الجمل للزجاجى ٣٩٤، واللمع فى العربية ٣٢٧ وما بعدها.
(٢) ينظر: الكشف ١/ ١٧٠.

قرأ الجحدرى «يا موسى» بالإمالة.

«فموسى» أصلها الياء وأُميل لتدل إمالتُهُ على أصله[1].

والغريب أنَّ الجحدرى لم يُمِلْ «موسى» فى غير هذا الموضع، ولم تُسعِفنا المصادر التى وقفنا عليها بشىء عن ذلك ولا عن عِلَّتِه.

٢- قال تعالى:

﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ ... ۝٦﴾ [مريم].

قرأ الجَحدرى: يَرِثُنى «وارِثُ» بكسر الواو[2].

جاء فى معرض كلامنا عن الإمالة، ذِكرُ العلل الموجبة لها وبينا العِلَلَ الأصلية والفرعية وقلنا إذا كان قبل الألف كسرة؛ فتُمال الألف من أجلها، وقراءة «وارِث» يعنى به الإمالة المحضة لا الكسر الخالص[3].

وقد ذكر ابن يعيش أنّ (الكسرة إذا كانت متقدمة على الألف كانت أدعى للإمالة منها إذا كانت متأخرة، وذلك أنها إذا كانت متقدِّمة كان فى تقدُّمها تَسفُّل بالكسرة ثم تَصَعُّد إلى الألف، وإذا كانت الكسرة بعد الألف كان فى ذلك تَسفّل بعد تَصعُّد، والانحدار من عالٍ أسهل من الصعود بعد الانحدار وإن كان الجميع سببًا للإمالة)[4].

إمالته فى الفعل:

١- قال تعالى:

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ ... ۝٣﴾ [النساء].

---

(١) غيث النفع ٢٢٩.

(٢) مختصر فى شواذ القراءات ٨٣.

(٣) ينظر: البحر المحيط ٦/ ١٨٣.

(٤) شرح المفصَّل ٩/ ٥٦.

قرأ الجَحدرى: «طَاب» بالإمالة، وهى قراءة ابن أبى إسحاق والأعمش. وفى مصحف أُبى «طيب» وهو دليل الإمالة[1].

وقد ذكر مكى القيسى ثلاث علل لإمالة «طاب» وأخواتها ممن تنطبق عليها هذه العلل:

أولا: أنْ ينكَسِر أولها عند الإخبار عن المتكلم فتقول: «طِبتُ».

ثانيًا: عينُها أصلية.

ثالثًا: العين فى المستقبل مكسورة، فقويت الإمالة فيها لاجتماع هذه العِلل الثلاث[2].

والألف المتوسطة إنْ كانت فى «فِعْل» يقال فيه «فَعَلْتُ» كـ «طاب» و«خاف» أُميلت ولم يُنظر إلى ما انقلبت عنه.

وكذلك إذا كانت عينًا، فلا تخلو من أن تكون من واوٍ أو ياءٍ، فإذا كانت منقلبة من ياء ساغت الإمالة فيها فى اسمٍ كانت أو فعل[3].

٢- قال تعالى:

﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا ... ﴿٢١﴾﴾ [النور].

قرأ الجَحْدرى «زكى» بالإمالة.

وهذا ما أصل ألفه الثانى الواو ثم ترجع إلى الياء فى الرباعى، وأمال ذلك؛ ليدل على أنَّ الألف قد صارت فى حكم ما أَصلُهُ الياء[4].

جاء فى المفصّل: (والألف الآخرة لا تخلو من أن تكون فى اسم أو فعل وأن تكون ثالثة أو فوق ذلك فالتى فى الفعل تُمال كيف كانت... والألف إذا

---

(١) ينظر: البحر المحيط ٣/ ١٦٢.

(٢) ينظر: الكشف ١/ ١٧٥، وينظر توجيه القراءات القرآنية فى كتب معانى القرآن ٢٦٠.

(٣) ينظر: شرح المفصل ٩/ ٥٨.

(٤) الكشف ١/ ١٧٧-١٧٨.

كانت فى آخر الكلمة فلا تخلو من أن تكون منقلبة عن واو أو ياء، فإن كانت منقلبة من ياء فى اسم أو فعلٍ فإمالتها حسنة. . . وإن كانت من الواو: «فإن كانت فعلاً جاءت الإمالة فيه على قبح نحو قولك «غزا، دعا، عدا»؛ لأن هذا البناء قد يُنقل بالهمزة إلى «أَفْعَل» فيصير واوه ياءً؛ لأن الواو إذا وقعت رابعة، صارت ياءً نحو: أغزيت، وأدعيت فنقول: أُغزى وأدعى، بالإمالة. وأيضًا فإنه قد يُبنى لما لم يُسمَّ فاعله فيصير إلى الياء نحو: «غُزى» و«دُعى» فتخيلوا ما هو موجود فى الحكم موجودًا فى اللفظ»[1].

وكذلك الحال فى «زكى»، أفلا ترى أنّك تقول: «زَكَوْتُ وأَزْكَيْتُ» فَتُثبِتُ الواو إذا كانت ثالثة، وتُرجِع «الياء» فى موضعها إذا كانت رابعة[2].

وقال ابن جنى: «ما زكَا» بالإمالة؛ من الواو لقولهم فيه: «زكوت» «تزكو» فأُميلت أَلِفُهُ، فإن كان من الواو من حيث كان فِعلاً - والأفعال أقعد فى الاعتلال من الأسماء من حيث كانت كثيرة التصرف وله وُصعت، والإمالة ضربٌ من التصرف، ولو كان اسمًا لم تَحسُن إمالته حُسنها فى الفعل، وذلك نحو: «العَفا» و«السَّنا»[3].

(١) شرح المفصّل ٩/ ٥٧.
(٢) الكشف ١/ ٢٠٧.
(٣) المحتسب ٢/ ١٠٥.

المبحث الخامس

تغير الصائتة بالاختلاس والإشباع

الاختلاس هو: «الإتيان بثلثي الحركة»[1]. وهو عند علماء التجويد: (عبارة عن الإسراع بالحركة إسراعًا يحكم السامع به أنّ الحركة قد ذهبت، وهى كاملة فى الوزن)[2].

فحقُّ المختلَس حركته أن يُسرَعَ اللفظ به إسراعًا يظُنُّ السامع معه أنّ حركته قد ذهبت من اللفظ لشدة الإسراع، وهى تامة فى الوزن كاملة فى اللفظ إلا أنها لم تُمَطّطْ ولم تُرسّل فخفى إشباعها ولم يَتَبيَّن تحقيقها[3].

والاختلاس والإشباع ظاهرتان صوتيان جاءتا فى كلام العرب، ولكلٍ منهما ما يُسوِّغه، فقد يُراد من الاختلاس التخفيف أو الفاصلة أو لأجل التقاء الساكنين.

وقد استعملت بعض اللهجات العربية القديمة تقصير صوت المدّ فى سياقات عامة وكأنّ ذلك صار عادة نطقية لها وهذه الظاهرة تعزى إلى تميم وكثير من أهل نجد[4].

أما من حيث الجواز وعدمه، فقد اختلف النحاة فى جواز حذف واختلاس الحركات فذهب الفرّاء وأبو على الفارسى إلى جواز ذلك، وقال ابن مالك فى جوازه: «إنّ أبا عمرو حكاه عن لغة تميم، بينما نقل السيوطى الجواز فى الشعر والمنع فى الاختيار[5].

وقد اختلس الجحدرى فى موضعين هما:

---

(١) المجتبى ٢١.

(٢) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ٥١٢.

(٣) الموضح للقرطبى ١٩٢.

(٤) ينظر: فى الأصوات اللغوية ٢٩٤، ولهجة تميم ١٤٨.

(٥) لهجة تميم ٣٨، ٣٩، وينظر: دراسة الظواهر اللغوية والنحوية فى كتاب الكنز ٥٤.

١- قال تعالى:

﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴿١٠﴾﴾ [الأحزاب].

قرأ الجحدرى «الظُّنُون» بغير ألف فى الوصل والوقف وهو القياس[١].

والحجة لمن حذفها؛ أنّ هذه الألف إنّما تثبت عوضًا من التنوين فى الوقف، ولا تنوين مع الألف واللام فى وصلٍ ولا وقف.

وحجة مَن أثبتها وصلاً ووقفًا: أنه اتبع خط المصحف لأنها ثابتة فى السواد[٢].

وذهب بعض العلماء إلى أنّ مَن حذف الألف فى الوصل فإنه أتى به على الأصل إذ لا أصل للألف فيه، وفَرْقُ ما بين هذا والقوافى أنّ القوافى موضع وقف وسكون وهذا لا يلزم فيه الوقف والسكون.

وقال أيضًا أنّ مَن حذف الألف فى الوقف، فإنه أجرى الوقف مجرى الوصل فحذف فى الوقف كما حذف فى الوصل؛ لأنّ الألفات فيها لا أصل لها، وإنما جيء بها على التشبيه بالقوافى والفواصل. والاختيار عنده إثبات الألف فى الوصل والوقف اتباعًا للمصحف[٣].

فالألف جاءت للإطلاق من الفتحة فى قوله تعالى «الظنُونا».

ومن خلال الكتابة الصوتية الآتية يمكن أن نرى أنّ الصائت الطويل من الآية «الظُّنُونَا» تحول بعد الاختلاس إلى صائت قصير، فعلى قراءة (حفص) مع بقاء الألف تكون القراءة مكوّنة من:

صامت + صائت قصير + صامت + صائت طويل + صامت + صائت طويل

ظ + ـُ + ن + وو + ن + //

(١) الكشاف ٣/ ٥٢٧.

(٢) الحجة لابن خالويه ٢٦٣، وينظر: الكشف ٢/ ١٩٥.

(٣) ينظر: الكشف ٢/ ١٩٥.

وبالاختلاس تكون هكذا:

صامت + صائت قصير + صامت + صائت طويل + صامت + صائت قصير

ظ + و + ن + وو + ن + /

أى تكون على هذه الصورة:

/ ظ ـُـ | ن ـٌـ | ن ـَـ/ | قبل الاختلاس.

/ ظ ـُـ | ن ـٌـ | ن ـَـ/ | بعد الاختلاس.

٢- قال تعالى:

﴿خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ ... شَرًّا يَرَهُ ۝٨﴾ [الزلزلة].

قرأ الجحدرى «يَرَهُ» (باختلاس الحركة)[1].

وبالاختلاس تكون قراءة الجَحدرى مكونة من:

صامت + صائت قصير + صامت + صائت قصير + صامت + صائت قصير

ى + ـَـ + ر + ـَـ + هـ + ـُـ

وهى فى قراءة حفص مكونة من:

صامت + صائت قصير + صامت + صائت قصير + صامت + صائت طويل

ى + ـَـ + ر + ـَـ + هـ + ـُـ

/ى ـَـ | ر ـَـ | هـ ـُـ/ | بعد الاختلاس.

/ى ـَـ | ر ـَـ | هـ ـٌـ/ | قبل الاختلاس.

أما **الإشباع** فهو؛ أداء الحركات كوامل غير منقوصات ولا مُختلسات، والعرب ربما احتاجت فى إقامة الوزن إلى حرف مُجتلَب ليس من لفظ البيت، وهذا إنما يأتى من إشباع الحركات إشباعًا يتولد منه حرف يجانس تلك الحركة

(١) مجمع البيان ١٠/ ٢٢٥.

ويُلائمها، فعند إشباع الفتحة يتولد من بعدها ألف، وإشباع الكسرة يتولد من بعدها ياء، وإشباع الضمة يتولد من بعدها واو[1].

ولقد جاء فى كتب الضرائر الشعرية أنَّ ذلك فى الشعر ضرورة وقد مَثَّلُوا للواو المتولدة من إشباع الضمة بقول الشاعر[2]: [من البسيط]

اللَّهُ يَعلَمُ أنَّا فى تَلَفُّتِنَا ... يَوْمَ الفِراقِ إلى أحبابنا صُورُ
وأنَّنى حَوْثما يثنى الهوى بصرى ... مِن حَوثما سَلَكُوا أدْنُو فأنْظورُ

فالواو فى «أنظور» حاصلة من إشباع الضمة، وأصله «أَنظُرُ»، وقد قرأ الجحدرى بالإشباع فى موضع واحد، وكان بالضم.

١- قال تعالى:

﴿وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا ... ﴿٧٧﴾﴾ [الأعراف].

قرأ الجحدرى: «يا صالح أُوتِنَا» «بهمزة وإشباع ضم»[3].

فقد أشبع الضمة بعد الهمزة حتى صارت واوًا، وقد أطلق اللغويون على هذا التحول فى الدرجة من غير تغيير فى المعنى مصطلح (مطل الحركات)[4].

والذى حصل أنه أشبع «الصائت القصير» (الضمة) ليصبح «صائتًا طويلاً» (واوًا)، وهذا ما (عبَّر عنه القدماء بخاصة «إشباع الحركة»)[5].

وما هذه القراءة إلا عدول من صيغة إلى صيغة أخرى، فقد عدل من صيغة «أْتِنا» إلى صيغة «أوتِنَا».

---

(١) ينظر: سر صناعة الإعراب ١/ ٢٧، والدراسات الصوتية عند علماء التجويد ٥٢٤.

(٢) ابن هرمَة، والبيت فى سر صناعة الإعراب ١/ ٢٩-٣٠، وفى خزانة الأدب ١/ ١٢١، ٧/ ٧، وينظر: الضرائر للآلوسى ٢٨٣-٢٨٤، والقراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث ٢٠٣، والدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جنى ٢٣٢.

(٣) البحر المحيط ٤/ ٣٣١، وينظر: القراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث ٢٠٠.

(٤) دراسة فى أصوات المد العربية ٢٩٦، وينظر: الخصائص ٣/ ١٢١.

(٥) القراءات القرآنية فى ضوء اللغة الحديث ٢٠٢.

والذى حصل فى هذه القراءة هو إطالة (الصائت القصير) وبذلك تحول المقطع الأول من «طويل مغلق» قبل الإشباع إلى «طويل مفتوح» بعد الإشباع.

وبالإشباع تكون قراءة الجحدرى مكوّنة من:

طويل مفتوح + قصير + طويل مفتوح

/ ءٓ | تِ | نٓ /

وهى فى قراءة «حفص» مكونة من:

طويل مغلق + قصير + طويل مفتوح

فهو إما:

/ ءِ ء / تِ / نٓ /

وإما:

/ ىٓ | صٓ | لِ | حُ ء | تِ | نٓ /

المبحث السادس
ياءات الإضافة

١- الفتح والإسكان:

ذهب بعض العلماء إلى أن الأصل فى ياء الإضافة الحركة؛ لأنها اسم على حرف واحد، ولا ينطق باسم على حرف واحد ساكنًا، فحركت لتقوى بالحركة واختير لها الفتح لأنه أخف الحركات، (ولأن الياء إذا انضمت أو انكسرت أعلُّوها بالحذف والقلب، والإسكان فى ياء الإضافة إنما هو تخفيف، وأجازوا إسكانها استخفافًا لأن الياء ثقيلة فإذا تحركت ازداد ثقلها)[1].

وذهب آخرون إلى أن الإسكان هو الأصل، لأنها أى - ياء الإضافة - حرف مبنى والسكون هو الأصل فى البناء.

ويضاف إلى مزايا التسكين السابقة مزية أخرى تتعلق بطول المقطع الصوتى وقصره، ففى حالة تسكين الياء، يُختصر الكلام وفى حالة الفتح يطول، مما يُشكِّل ثقلا واضحًا على الجهاز النطقى حين النطق.

والفتح والإسكان فى ياء الإضافة من التغييرات الصوتية العائدة إلى اختلاف اللهجات، فالفتح من ظواهر لهجة الحجاز، والإسكان من ظواهر لهجة تميم وأسد وهذيل[2].

والجحدرى كغيره من القرَّاء قرأ بإسكان ياء الإضافة تارة وبفتحها أخرى، وجاءت قراءته بالفتح فى مواضع قليلة منها:

أولا: ما قرأه بالفتح:

١- قال تعالى:

﴿قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ ... ﴿١١٢﴾﴾ [الأنبياء].

---

(١) ينظر: الموضح للمهدوى ٢٦١، والكشف ١/ ٣٢٤.

(٢) ينظر: الرسالة العدوية فى الياءات الإضافية، الدراسة ١٧٠.

قرأ الجحدرى «ربِّيَ»[1] «أحْكَمُ» بإثبات الياء وفتحها.

ومن خلال الكتابة الصوتية الآتية لكلمة (ربِّيَ) سيظهر لنا الاختلاف بين حالتى الفتح والإسكان.

/ر ـَ ب | ب ـِ ـْ / فى حالة الإسكان.

/ر ـَ ب | ب ـِ ـْ | ى ـَ / فى حالة الفتح.

ففى حالة الإسكان الأولى حصلنا على مقطعين:

طويل مغلق + طويل مفتوح

أما فى حالة فتح الياء فيتكون عندنا ثلاثة متقاطع:

طويل مغلق + قصير + قصير

وبعملية الفتح هذه يكون المقطع الثانى قد انشطرت قمته إلى (مصوت قصير ونصف مصوت) وزدنا الفتحة - المصوت القصير - فيكون التشكيل المقطعى:

/ ر ـَ ب | ب ـِ ـْ /

ـِ ـْ ى + ـَ مُجتلبة

/ر ـَ ب | ب ـِ ـْ | ى ـَ /

(١) مختصر فى شواذ القراءات ٩٣.

ثانيًا: ما قرأه بالتسكين:

قرأ عاصم الجحدرى بتسكين ياء الإضافة فى موضعين فقط هما:

رقم الآية	الموضع	قراءة الجحدرى	المصادر
	سورة طه		المحتسب: ٢/ ٤٩، الكشاف ٢/ ٥٣٣، البحر المحيط ٦/ ٢٣٤.
١٨	قالَ هىَ عَصَايَ	عَصَايْ	
	سورة طه		
٥٦	يا عِبَادِيَ	يا عبادِيْ	تحبير التيسير ١٥٦

أما عن الحذف والإثبات، فلقد أثبت الجحدرى الياءات الزوائد ولم نقف - فيما وقفنا عليه من مصادر - أنه حذف شيئًا منها، ذلك لأن الأصل فى ياء الإضافة الإثبات فى الوصل والوقف وهو لغة أهل الحجاز.

أما الحذف فيها فلغة للعرب مشهورة، ويحذفون للاستخفاف؛ وذلك لدلالة الكسرة التى قبل الياء عليها، ولسكونها[1].

(١) ينظر: الكشف ١/ ٣٣٢-٣٣٣، والموضح للمهدوى ٢٩٧، والمجتبى فى تخريج قراءة أبى عمر الدورى ١٨.

المبحث السابع
التثقيل والتخفيف

إنَّ شدة الأصوات وخفتها تتفاوت نسبتها تبعًا لتفاوت الظروف والبيئات، فالتشديد عند قبيلة ما قد يكون تخفيفًا عند أخرى والعكس صحيح.

والتشديد سمة من سمات نطق القبائل البدوية التى تميل إلى شدة الأصوات فى نطقها (وهذا أمر طبيعى يلائم ما عرف عن البدو من غلظة وجفاء فى الطبع)[1]، وهم لما كانوا يعيشون فى الصحارى المترامية، وهذه الصحارى يفنى فيها الصوت ويذوب فى جنباتها، فلا تكاد تتّضح؛ لذا حرص هذا البدوى على توضيح أصواته حتى تسمع ولجأ إلى هذا بطرق شتى، منها: الجهر، والتفخيم، والشدة.

(أما القبائل المتحضرة فقد سارت على عكس ذلك فى لهجاتها، فقد مالت إلى خفة النطق وسهولة الأداء حيث ينسجم ذلك مع بيئتهم وطبيعتهم)[2].

وطبقًا لما قرره النحاة من أن كل زيادة فى المبنى تؤدى إلى زيادة فى المعنى فلذلك يعنى أن صيغة «فَعَلَ» ليست كصيغة «فَعَّل».

قال سيبويه: (تقول: كَسَرْتُها وقَطَعْتُها، فإذا أردت كثرة العمل قلت: كَسَّرْتُه وقَطَّعْتُه ومزَّقْتُه... واعلم أن التخفيف فى هذا جائز، كلّه عربى)[3].

والتشديد كما نُسِب إلى بنى تميم وسفلى قيس وربيعة، والتخفيف لأهل الحجاز وقريش نُسِب كذلك إلى قريش مقابل التخفيف فى ألفاظ أخرى لتميم[4].

وسأعرض لما قرأه الجحدرى بالتشديد أولا ثمَّ لما قرأه بالتخفيف:

---

(١) وفى اللهجات العربية ١٠٠.

(٢) ينظر: اللهجات العربية فى التراث ٢/٦٥٧، وينظر: فى اللهجات العربية ١٠٦.

(٣) كتاب سيبويه طبعة بولاق ٢/٢٣٧، وكتاب سيبويه ط هارون ٤/٦٤.

(٤) ينظر: البحر المحيط ٨/٩٨، ولهجة تميم ١٧٠، ولهجة قبيلة أسد ١٨٨.

أولاً: التثقيل والتخفيف:

أ - ما قرأه بالتثقيل:

١- قال تعالى:

﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ ... ﴿١٨٥﴾﴾ [البقرة].

قرأ الجحدرى «وَلِتُكَمِّلُوا» بفتح الكاف وتشديد الميم المكسورة، وهما لغتان يقال أكملتُ العدد وكمَّلتُه، وهو كقوله: ﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾﴾ [الطارق].

والذى يقوّى التشديد أنَّ فيه معنى التأكيد والتكرير.

أما التخفيف، فالذى يُقوِّيه عندهم إجماعهم على قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ... ﴿٣﴾﴾ [المائدة].

ويرى (مكى) أنَّ التخفيف أولى لخفته، ولأن إجماع القراء عليه، ولإجماعهم على «اليوم أكملت»[١].

٢- قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٥١﴾﴾ [الحج].

قرأ الجحدرى: «مُعَجِّزون» (بالتشديد، وهى قراءة ابن كثير وأبى عمرو)[٢].

فمن قرأ بالتشديد فقد حمله على معنى «مُثَبِّطين» أى: يُثبطون الناس على اتباع النبى ﷺ، أى: يُثبطونهم عن ذلك ويؤخرونهم عن ذلك، وهو بمعنى: يحببون إليهم ترك اتباع النبى ﷺ[٣].

---

(١) ينظر: الكشف ١/ ٢٨٣، والظواهر اللغوية فى قراءة الحسن البصرى ٦٤.

(٢) الكشف ٢/ ١٢٢، مجمع البيان ٧/ ٨٩.

(٣) الكشف ٢/ ١٢٢-١٢٣.

وقال الطبرسي: (ومُعَجِّزين، ينسبون مَن تبع النبي ﷺ إلى العجز، نحو: جهّلته نسبته إلى الجهل)[1].

أما من قرأ بالألف «مُعاجِزين»، فعلى معنى مشاقِّين الله، وقيل: معناه معاندين الله، وقيل: معناه مسابقين الله، والمعنى: أنَّهم ظنُّوا أنَّهم يعجزون الله، وقيل: يفوقونه فلا يقدر عليهم وذلك باطل من ظنِّهم، وهو الاختيار، لأن الأكثر عليه، فالتثبيط والتعجيز خاص، لأنه في نوع واحد وهو الإبطاء عن رسول الله ﷺ والعناد عام؛ لأنه يدخل فيه الكفر[2].

٣- قال تعالى:

﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾﴾ [النجم].

قرأ الجحدري: «ما كَذَّبَ» مشدَّدًا، وهي قراءة الحسن وقتادة[3].

قال الفراء: (يجوز أن يكون أراد صاحب الفؤاد)[4]، وأجاز أن يكون معنى «ما كذَّب» «صدَّق» أو يكون معناه (ما كذَّب قلب محمد ﷺ ما رآه بعينه تلك الليلة بل صدَّقه وحقَّقه)[5].

ومَن قرأ بالتخفيف فمعناه: ما كذب فؤاده فيما رأى، و«كَذَبَ» فِعْل يتعدى إلى مفعوله بدلالة قول الشاعر[6]: [من الكامل]

كَذَبَتْكَ عينُكَ أمْ رأيتَ بواسطٍ غَلَسَ الظَّلامِ من الرُّبابِ خيالا

---

(١) مجمع البيان ٧/ ٨٩.

(٢) ينظر: الحجة لابن خالويه ٢٣٠، والكشف ٢/ ١٢٣.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٢٦٣.

(٤) معاني القرآن للفراء ٣/ ٩٦.

(٥) مجمع البيان ٩/ ١٧٤.

(٦) غياث بن غوث التغلبي المعروف بالأخطل، شاعر أموي، عاصر جرير والفرزدق، والبيت منسوب له في خزانة الأدب ٦/ ١٩٥، وينظر: المؤتلف والمختلف ٢١، ومعجم ألقاب الشعراء ١٤.

ومعنى كَذَبَتْكَ عينُكَ: أرَتْكَ ما لا حقيقة له، فعلى هذا يكون المعنى: «لم يكذب فؤاده ما أدركه بصره، أي: كانت رؤيته صحيحة غير كاذبة، وإدراكًا على الحقيقة ويشبه أن يكون الذى شدَّد أراد هذا المعنى وأكَّده[1].

٤- قال تعالى:

﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ ... ﴿٢﴾﴾ [الحشر].

قرأ الجحدرى: «يُخرِّبون» (بالتشديد على معنى التكثير للخراب من «خرَّبَ يُخرِّب»).

وحكى سيبويه أن «فَعَّل» يكون بمعنى «أفْعَل»[2] كما قال[3]: [من الطويل]

..... ومَن لا يُكَرِّم نفسَه لا يُكرَّمِ

(ومَن شدَّد أراد يُهَدِّمونها، ويُنقصونها، تقول العرب: خَرَّبنا المنزِل إذا هم هدَّموه وإن كانوا فيه مقيمين.

والحجة لمن خفَّف أنه أراد يرحلون ويخلّونها، تقول العرب: أخربْنا المنزل إذا هم ارتحلوا عنه وإن كان صحيحًا)[4].

وعلى قراءة التخفيف من «أخرَبَ - يُخْرِب»، يقال: «خرَّبْتُهُ وأخربته» لغتان بمعنى «الهدم».

وقال أبو عمرو: (أخربت الموضع، تركته خرابًا وخرَّبته وهدَّمته)[5].

---

(١) مجمع البيان ٩/ ١٧٤.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٨٦.

(٣) البيت بتمامه:

ومَن يَغترب يحسب عدوًا صديقه ومَن لا يُكرِّم نفسه لا يُكرَّمِ

وهو من معلقة زهير بن أبى سلمى، شاعر جاهلى عُمِّر طويلاً، ينظر: شرح القصائد المشهودات الموسومة بالمعلقات لابن النحاس (ت ٣٣٨هـ) ١/ ١٢٣، وينظر: المؤتلف والمختلف ١٣٠.

(٤) الحجة لابن خالويه ٣١٦.

(٥) الكشف: ٢/ ٢١٦، وينظر: مجمع البيان ٩/ ٢٥٦.

ب- ما قرأه بالتخفيف:

١- قال تعالى:

﴿وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ ... ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف].

قرأ الجحدرى: «وَعَـزَروه» بتخفيف الزاى، بمعنى (أثنوا عليه ومدحوه) وحكى أبو حيان عن الزمخشرى أنه قال: (منعوه حتى لا يقوى عليه عدوّ)[١].

وقال ابن جنّى: (مشهور اللغة فى ذلك: عَزَّرت الرجل، أى: عظَّمته، وهو مشدَّد، وقد ذكر أنهم قالوا: عَزَرتُ الرجلَ عن الشىء - بتخفيف الزاى - إذا منعته عن الشىء، فقد يجوز أن يكون «وَعَزَروه» على هذه القراءة، أى: منعوه وحجزوا ذكره عن السوء)[٢].

والتعزير فى كلام العرب التوقير، والتعزير: النصر باللسان والسيف وأصل التعزير المنع والردّ، فكأنَّ مَن نصرته قد رددت عنه أعداءه ومنعتهم من أذاه؛ ولهذا قيل للتأديب الذى هو دون الحدّ «تعزير» لأنه يمنع الجانى أن يعاود الذنب[٣].

وقال الزجاج: (العزر فى اللغة: الردُّ، وتأويل عَزَرْتُ فلانًا، أى: فعلتُ به ما يردُّه عن القبيح ويزجُرُه عنه) فهو لا يرى أنَّ التعزير بمعنى التوقير حيث قال: (ولو كان التعزير هو التوقير لكان قوله: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ... ﴿٩﴾﴾ [الفتح]، تكرارًا)[٤].

٢- قال تعالى:

﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ ... ﴿١﴾﴾ [هود].

قرأ الجحدرى: «فَصَلَتْ» بفتح الفاء وتخفيف الصاد.

---

(١) البحر المحيط ٤/ ٤٠٤، وينظر: الكشاف ٢/ ١٦٦.

(٢) المحتسب ١/ ٢٦، وينظر: الكشاف ٢/ ١٦٦.

(٣) ينظر: لسان العرب مادة (عزر).

(٤) التفسير الكبير ١١/ ١٨٦.

ومعنى «فَصَلَتْ» أى: فَرَّقَت بين الحقِّ والباطل، وهى على تسمية الفاعل أى: (أحكمتها أنا ثمَّ فَصَّلتها)[1].

قال ابن جنِّى: (معنى فَصَلَتْ، أى: صَدَرَتْ وانفَصَلَتْ عنه ومعه وهو كقولك: قد فَصَلَ الأمير عن البلد. أى: سار عنه)[2].

٣- قال تعالى:

﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم].

قرأ الجحدرى: «نُنْجِى» (بإسكان النون وتخفيف الجيم وهى قراءة الكسائى)[3].

(وهو من «أنجى» ومن شدَّد جعله من «نَجَّى» وكلاهما بمعنى، واللغتان فى القراءتين كثير)[4].

وقد وردت القراءتان اللغتان فى القرآن الكريم، فبالتشديد جاء قوله تعالى: ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ ... ﴿٧٦﴾﴾ [الأنبياء].

وبالتخفيف جاء قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَنجَيْنَاكُم ... ﴿١٤١﴾﴾ [الأعراف].

وأصل الفعل «نجا» ثم يُثَقَّل للتعدية بالهمز أو التشديد، فالهمزة فيه كالتشديد فى تعديته.

وعلى هذا فالقراءتان متعادلتان غير أنَّ التشديد فيه معنى التكرير والتكثير للفعل على معنى (نجاة بعد نجاة)[5].

---

(١) ينظر: الكشاف ٢/ ٢٧٧، والتبيان فى إعراب القرآن ٢/ ٣٤، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل ١/ ٤٤٩.

(٢) المحتسب ١/ ٣١٨.

(٣) البحر المحيط ٦/ ٢١٠.

(٤) الكشف ٢/ ٩١.

(٥) الكشف ١/ ٤٣٥، ٢/ ٩١، والموضح للمهدوى ٣٩٤.

٤- قال تعالى:

﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾﴾ [الحج].

قرأ الجحدرى: «مُعْطَلَة» مخففًا، يقال: عَطَلْتُ البئرَ وأعطَلْتُها فَعَطَلت هى - بفتح الطاء، وعطِلت المرأة من الحلى، بكسر الطاء[١].

قال ابن جنّى: (ينبغى أن يكون ذلك على (عَطَلَت) أو (أعْطَلَت) أو (عَطِلَت) فهى عاطِل، وأعْطَلْتُها فهى (مُعْطَلَة).

فيكون منقولاً من ثلاثى على «فَعَلْتُ» أو «فعَلتُ». والفتح أولى بالعين فيه من الكسر؛ لأن «عَطِلَ» يقال للمرأة إذا عَطِلتْ من الحَلْى، كما قال فى ضدِّه: حَلِيتْ فهى حَالية)[٢].

وذكر الزمخشرى: أنَّ (معنى «المُعْطَلَة» أنَّها عامرة فيها الماء ومعها آلات الاستسقاء إلا أنها عَطَلَت أى: تُرِكَت لا يُستقى منها لِهلاكِ أهلها)[٣].

ثانيًا: التحريك والتسكين:

أ - التحريك:

١- ضم العين:

١- قال تعالى:

﴿وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ ... ﴿٣٢﴾﴾ [القصص].

قرأ الجَحدرى: «مِنَ الرُّهُب» بضم الراء والهاء.

وفى هذه الآية أربع لُغات، «الرَّهْب» و«الرُّهْب» و«الرَّهَب» و«الرُّهُب». ومعناها الخوف[٤].

---

(١) البحر المحيط ٦/ ٣٧٦.

(٢) المحتسب ٢/ ٨٥.

(٣) الكشاف ٣/ ١٦٢، وينظر: البحر المحيط ٦/ ٣٧٦.

(٤) ينظر: الكشاف ٣/ ٤٠٨، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل ٢/ ١٩٢.

وقال العكبرى عن هذه القراءات أنَّها (لغات، وَقَد قُرئ بِهنَّ)[1].

٢- قال تعالى:

﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾﴾ [الرحمن].

قرأ الجحدرى: «خُضُرٍ» بضم الضاد إتباعًا لضمة النون، وقراءة الجمهور «خُضْرٍ» بضم الخاء وإسكان الضاد.

ويظهر أنَّ اتباع الضم هنا ظاهرة تشيع فى كلام كثير من العرب، فقد حكى الأخفش عن عيسى بن عمر أنه قال: (ما سُمِعَ أو سَمِعنا «فُعل» إلا وقد سَمِعنا فيه «فُعُل»)[2].

وكما يحصل هذا الانسجام بين صامتٍ وآخر مثله، فإنّه حاصلٌ بين الصوائت كذلك.

وهذا النوع من المماثلة يُسمى بـ (المماثلة التقدمية أو الاتباع المقبل أو بالتأثر النقدى) وكلها بمعنى واحد. وذلك لأن الصوت الأول أثَّرَ فى الذى يليه فجذَبَهُ إلى صوتٍ مجانس له[3].

وهذا النوع من التأثير كثير الوقوع فى اللغة الإنجليزية قليل الشيوع فى العربية[4].

ب- التسكين:

١- إسكان العين:

١- قال تعالى:

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ... ﴿١٦٨﴾﴾ [البقرة].

---

(١) التبيان فى إعراب القرآن ٢/ ١٧٨.

(٢) المحتسب ٢/ ١٧٠، وينظر: شرح الرضى على الشافية ١/ ١٤٦، البحر المحيط ٢/ ٢٠٨، والظواهر اللغوية فى قراءة الحسن البصرى ١٢٢.

(٣) ينظر: فى البحث الصوتى عند العرب ٧٠-٧١، والظواهر اللغوية فى قراءة الحسن ١١٩

(٤) ينظر: الأصوات اللغوية ١٨٠، وينظر: المنهج الصوتى للبنية العربية ٢١٠.

قرأ الجحدرى: «خُطْوات» بسكون الطاء. فى هذه الآية فقط.

وقرأ الجمهور «خُطُوات» بضمتين (لأن الواحد «خطوة»، فإذا جمعت حركت العين للجمع، كما فعل بالأسماء التى على هذا الوزن نحو: «غرفة وغرفات» فالتحريك فاصل بين الاسم والصفة و«الخطوة» من الأسماء لا من الصفات فيجمع بتحريك العين)[1].

وأما من أسكن الطاء فقال: «خطوات» فإنه نوى الضمة وأسكن الكلمة عنها طلبا للخفة[2]. وقد ذكر سيبويه أن الذين يخففون، إنما يخففون إذا تتابعت ضمتان، وقد كرهوا ذلك كما يكرهون الواوين، وإنما الضمتان من الواوين، فكما تكره الواوان كذلك تكره الضمتان[3]، فكيف وقد جاءت ضمتان وواو، لا شك أن ذلك ثقيل لذا مالوا إلى التخفيف[4].

والإسكان لغة تميم، والضم على الإتباع لغة أهل الحجاز وهذا لا يتنافى مع ما ذكر من أن الإتباع أو الانسجام الأصواتى خاصة من خصائص اللهجات البدوية، وأثر من آثار السرعة فى الكلام، ذلك أن الإتباع فى نحو «خطوات» لا تلجأ إليه القبائل البدوية لما فيه من ثقل يكمن فى توالى ضمتين فى كلمة كبيرة البنية، فهو هنا أثر من آثار التأنى فى الأداء[5].

ثالثا: الذكر والحذف:

أ - الحذف:

١- قال تعالى:

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ... ﴿٤٤﴾﴾ [فصلت].

---

(١) التفسير الكبير ٥/ ٣.

(٢) التبيان فى إعراب القرآن ١/ ٧٥.

(٣) ينظر: الكتاب ٣/ ١١٣ ط هارون.

(٤) ينظر: الكشف ١/ ٢٧٤، وقراءة شعبة ٦٦.

(٥) ينظر: الكشف ١/ ٢٧٣، والبحر المحيط ٢/ ١٢٢، واللهجات فى الكتاب ١١٣.

قرأ الجحدرى: «أَعْجَمِىٌّ» بهمزة واحدة والعين ساكنة[1].

وقرأ الجمهور: «آأَعْجَمِىٌّ» بهمزة الاستفهام بعدها مدَّة هى همزة أعجمى وقيامها فى التخفيف، التَّسهيل بَيْنَ بَيْنَ[2].

(فالهمزة همزة الإنكار، يعنى لأنكروا وقالوا: أَقُرآنٌ أعْجَمِىٌّ وَرَسُولٌ عَرَبِىٌّ)[3].

وحُجَّة من أبدلَ من ألفِ القطع مدَّةً: (أنه استثقل الجمع بين همزتين فخفّف إحداهما بالمدّ)[4].

وأما قراءة «أَعْجَمِىٌّ» بقصر الهمزة وسكون العين، (فَعلى أنه خبرٌ لا استفهام أى لقالوا: لولا فُصلت آياتُهُ ثُمّ أخبر فقال: الكلام الذى جاء به أعجمىٌّ، أي: قرآنٌ وكلام أعجمىّ)[5].

ذكرنا فيما سبق أن (تخفيف الهمزة؛ يجمعه الإبدال والحذف وبين بين»[6] والذى يعنينا هنا هو التخفيف بالحذف.

تخفيف الهمزة بحذفها، وله صورتان:

١- حذفها دون حركتها ونقل حركتها إلى ما قبلها.

٢- حذفها وحذف حركتها.

والذى يعنينا منها الأول. نحو:

---

(١) المحتسب ٢/ ٢٤٧.

(٢) البحر المحيط ٧/ ٥٠٢.

(٣) الكشاف ٤/ ٢٠٢.

(٤) الحجة لابن خالويه ٢٩١.

(٥) المحتسب ٢/ ٢٤٨.

(٦) شرح الرضى على الشافية ٣/ ٣٠.

٢- قوله تعالى:

﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ ... ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح].

قرأ الجحدرى: «شَطَهُ» بغير همزة ولا ألف، ووجهه أنّه ألقى حركة الهمزة على الطاء وحذفها[١] وهذا الحذف قياسى لأن الساكن قبل الهمزة وهو الطاء فى «شَطَأَهُ» ليس بحرف مدّ ولا لين، وحكم تخفيف الهمزة فى مثل هذا (أن تُلقى حركتها على ما قبلها وتُحذف كقولنا فى «مَسألَة» «مسلَة» وفى «مَرأة» «مَرَة»)[٢].

قال سيبويه: (واعلم أنّ كلَّ همزةٍ متحركة كان ما قبلها حَرف ساكن فأردت أن تُخفّف حذفتها وألقيت حركتها على الساكن الذى قبلها)[٣].

(١) ينظر: التبيان فى إعراب القرآن ٢/ ٢٣٩، والصرف د. حاتم الضامن ١٩٢-١٩٣.

(٢) النكت فى تفسير كتاب سيبويه ٢/ ٩٧٢-٩٧٣.

(٣) الكتاب ٢/ ١٦٥، وينظر: شرح المفصل ٩/ ١١٥، وشرح الرضى على الشافية ٣/ ٤٢.